درة اليقين
في
أسباب النصر
والتمكين

جمع وإعداد
جميلة المصري

حقوق الطبع محفوظة

دار البيان للنشر والتوزيع
84 ش محرم بك – محطة ترام بوالينو – الإسكندرية
ت/ 3929289 - 0102224336

This file was downloaded from QuranicThought.com

إهداء

إلى أرواح الشهداء في القبة الخضراء على بارق نهر بباب الجنة [1]

إلى المرابطين والمجاهدين في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس

إلى أهل غزة الصامدين بإيمانِهم إذا وقعت الفتن [2]

إلى أطفال غزة الكبار الذين زلزلوا زلزالا شديدا

فليشهدِ الدهـرُ والتـاريـخُ أنَّ لكم
فـي سُلَّمِ الـمجدِ إسـراءٌ و مُعْتَـــرَجُ
يا غـــزةَ العـــزِّ.. يا آمـــالَ أمتِـنـا
لعلنـا بفتـــــــــوحِ اللهِ نبتَهِـــــــــجُ
عليك مني ســـــلامٌ طـاهـرٌ عَبِقٌ
ما سبَّحَ الخلقُ مولاهم وما لهجوا
يا غزتي! لاعليكِ اليومَ من حَرَجٍ
لكنْ علينا وربِّ الكعبةِ الحَـــــــرَجُ [3]

ظ

[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الشهداءُ على بارقِ نهرٍ ببابِ الجنةِ في قبةٍ خضراءَ يخرجُ عليهم رزقُهم من الجنةِ بكرةً وعشيًّا". [رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وحسنه الألباني]

[2] عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني رأيتُ كأنَّ عمودَ الكتاب انتُزِع من تحتِ وسادتي فأتبعتُه بصري فإذا هو نورٌ ساطعٌ عُمِدَ به إلى الشامِ، ألا وإنَّ الإيمانَ إذا وقعتِ الفتنُ بالشامِ". [رواه الطبراني والحاكم، وصححه الألباني]

[3] بتصرف من قصيدة "فلوجة العز" للشاعر المبدع/ صالح بن علي العمري – موقع "صيد الفوائد"

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِل له، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون)**.. **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)**.. **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)**..

أما بعد..

لقد نسي المسلمون وعد الله لهم في الذكر الحكيم باستخلافهم في الأرض: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾** [النور:55] فتلاحقت هزائمهم النفسية أمام الضربات الموجعة المفجعة التي توالت عليهم منذ سقوط الخلافة عام 1924م وإلى يومنا هذا..

وبدت مظاهر الهزائم النفسية التي يحياها المسلمون واضحة جلية؛ مما طمأن أعداء الإسلام أن مؤامراتهم الخبيثة قد آتت أكلها؛ فقد غدا المسلمون كالقطعان السائبة يغير عليهم الذئاب من المشرق والمغرب يفترسون منهم ما يشاءون دون أن يحرك أحد ساكنا!!

وليس بخافٍ على أحد دور وكلاء أعداء الأمة المتحكمين في بلادنا؛ الذين عاونوا الأعداء في إخماد كل صيحة إسلامية تحاول إيقاظ الإيمان المخدر في نفوس العباد..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولقد غاظهم أيما غيظ ثبات ثلة المجاهدين في أرض الرباط؛ على الرغم من تكالب الأعداء وتآمر الدنيا عليهم.. وأيم الله؛ إن هذا الثبات في ذاته لهو النصر المبين..!

هذا النصر الذي بدت تباشيره في أرض الرباط له أسباب وشروط.. وحري بالأمة في هذه الآونة أن تتوجه بكل فئاتها إلى دراسة وتحقيق أسباب النصر؛ فإن سنن الله الكونية نافذة، وعلى أهل الإيمان ألا يتأخروا في الأخذ بالأسباب..

إني أتوقُ إلى انتصارِ عقيدةٍ ... فيها لأنهارِ النجاةِ منابعُ
قالوا: تروومُ المستحيلَ؟ ... بل وعدٌ مِنَ الرحمنِ حقٌّ واقعُ
فقلتُ: ... ورمَتْ بنا خلفَ
واللهِ لو جرفَ العدوُّ بيوتَنا ... المحيطِ زوابعُ
لظللتُ أؤمنُ أنَّ ... يومٌ مِنَ الأمجادِ
أمتَنا لها ... أبيضُ ناصعُ
هذي حقائقُنا ... وهميةٌ فيها
وليست صورةً ... العقولُ تُنازعُ
أنا لن أملَّ مِنَ النداءِ فربما ... أجدَى نداءُ مِن فؤادي نابعُ [1]

وهذا كتاب "درة اليقين في أسباب النصر والتمكين".. جمعت فيه –بتوفيق من العلي الكبير– ما تيسر من أسباب النصر والتمكين؛ ورتبته على النحو التالي:

تمهيد: تناولت فيه السنن الربانية التي لا تتبدل إلى قيام الساعة.

وباب بعنوان: الثقة واليقين في وعد الله بنصر المؤمنين.

ثم شرعت في تفصيل أسباب النصر والتمكين على النحو التالي:

[1] من قصيدة "الأمل القادم" للشاعر/ عبد الرحمن العشماوي

This file was downloaded from QuranicThought.com

أولا: تحقيق الإيمان بالله الواحد.

ثانيا: الاعتصام بالله عز وجل.

ثالثا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعا: تحقيق الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من أعداء الله والدين.

خامسا: إحياء ثقافة الجهاد.

سادسا: توحيد الكلمة، وتجنب التنازع والشقاق.

سابعا: تحقيق الزهد وقصر الأمل، والتخفف من الدنيا.

ثامنا: تأصيل الهوية الإسلامية.

تاسعا: تحقيق الاستعانة بالله عز وجل.

ولا أزعم أنني استقصيت كل أسباب النصر والتمكين، ولكن هذا ما وفقني إليه المولى الكريم، والفضل كل الفضل للملك الوهاب، ثم للسادة العلماء الذين نقلتُ عنهم، فالله أسأل أن يجزل المثوبة لكل من نقلت عنه حرفا من السادة العلماء والشعراء.. وأن يجعل هذا الكتاب آية للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يعظم النفع به إلى يوم الدين، وأن يكتب لي به ثواب المجاهدين المخلصين.. إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

فيا عباد الله..

نـنـامُ على الجراحِ.. ولا يغتالُ صبري مُستبِدُّ
نجوعُ.. نَعرى فما التنديدُ يُرجِعُ الأوطانَ أُسْدُ
فما التنديدُ يُرجِعُ لي ترابًا ولكن يُرجِعُ الأو
إذا قاموا فـ"بسم الله" و"بسم اللهِ" صولتُها أشدُّ
ـعُ لي ترابًا
ـم اللهِ" صفًّا
ألـيسَ غدًا لناظ غدًا سيمرُّ نحوَ
ـرِهِ قريبُ؟ القدسِ جُندُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

جميلة المصري

الإسكندرية في 11/ 5 / 1430هـ – 7 / 5 / 2009

سادسا:

توحيد الكلمة وتجنب التنازع والشقاق

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:45]

ولا تف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:103]

(**وَلَا تَفَرَّقُوا**): أي لا تتفرقوا في أنفسكم، فلا يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا تتنادوا بنداء الجاهلية، ولا تتفرقوا في دينكم، فتذهبوا في فهمه شيعا وفرقا مختلفة، فتضلوا عن سبيل الله. ولا شيء يذهب بنور الحق المبين أكثر من اختلاف الأنظار في فهمه وإدراكه، والنظر إليه بروح التعصب الذي يغفل عن الاتجاه إلى الحق في كل جوانبه؛ ولذلك جاء النهى عن التفرق في الدين، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:159].

ولقد توقع النبي خ الافتراق لأمته، وأنه سيكون سبب ضعفها، وأن عودة قوتها في عودة اجتماعها؛ ولذا قال خ: "**افترقت اليهود على إحدى (أو ثنتين) وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى (أو ثنتين) وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**".[1] [رواه أبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني]. **وفي رواية للترمذي: "وإنَّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على**

---

[1] قال صاحب عون المعبود: (افترقت اليهود): هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب وقع. قال العلقمي: قال شيخنا ألف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتابا قال فيه: قد علم أصحاب المقاولات أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم مَن خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة وما جرى مجرى هذه الأبواب. لأن المختلفين فيها قد كفَّر بعضهم بعضا بخلاف النوع الأول؛ فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه. فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف. وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه، ثم حدث الخلاف = = بعد ذلك شيئا فشيئا إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنين وسبعين فرقة، والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة؛ وهي الفرقة الناجية. (انتهى باختصار يسير)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار إلا ملة واحدة". قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي". [حسنه الألباني]

وإن الطريق للخروج من الافتراق هو الذهاب إلى لب الدين بإخلاص، ومن غير انحراف إلى طائفة دون أخرى. فإنه لايفرق إلا الأهواء، ولايهدي إلا الإخلاص. فإذا سيطرت الأهواء المنحرفة سرى الضلال إلى النفس وإلى الفكر؛ ولذا قال خ: **"وإنه سيخرج من أمتي أقوام تَجارَى بهم تلك الأهواء كما يتجارَى الكَلَب لصاحبه".**[1] [رواه أبو داود، وحسنه الألباني]

ومن السبل المفرقة في الدين إحداث الشيع والمذاهب. ومنها العصبية الجنسية كما بين الأوس والخزرج.

وقد سار على هذا النهج أهل أوربا في العصر الحديث؛ فاعتصموا بالعصبية الجنسية كما كانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية، وسرى ذلك إلى بعض البلاد الإسلامية، فحاول أهلها أن يجعلوا في المسلمين جنسيات وطنية.. فدعا الترك إلى العصبية التركية، والمصريون إلى الجنسية المصرية، والعراقيون إلى الجنسية العراقية؛ ظنا منهم أن ذلك مما ينهض بالوطن. وليس الأمر كما يظنون؛ فإن الوطن لا يرقى إلا باتحاد كل المقيمين فيه لإحيائه، لا في تفرقهم ووقوع الشحناء والبغضاء بينهم.

وإن النهي عن التفرق توجب طاعته الإخلاص والحذر، وطريقه الاعتبار؛ ولذلك قال تعالى: **(وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)**..

---

[1] قال صاحب عون المعبود: (تَجارَى): بحذف إحدى التاءين أي: تدخل وتسري. (تلك الأهواء): أي البدع. (كما يتجارَى الكَلَب): بالكاف واللام المفتوحتين داء يعرض للإنسان من عض الكلب، وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه الجنون؛ فلا يعض أحد إلا كلب، ويعرض له أعراض ردية، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخطاب عام لكل المؤمنين في كل الأجيال وكل الأعصار، ويدخل في عمومه كل الأجناس وكل الشعوب. فالدعوة إلى التذكر دعوة عامة، وهي تذكر لماضى الانقسام، ثم من بعدُ الاتفاق والوئام، والطريق إلى الوحدة. ولكن إذا كان التذكير عاما؛ فإن الاختلاف الذى أشار إليه النص الكريم كان خاصا بطائفة من المؤمنين؛ وهم الذين عاصروا النبي خ من المهاجرين والأنصار. فالأنصار أكلتهم الحرب التي قامت بين الأوس والخزرج حتى أتم الله عليهم نعمة الهداية، والعرب جميعا كانوا فى تنابز وتنافر حتى كادت بعض قبائلهم تفنيها الحروب التي لا تبقي ولا تذر.

ولماذا اعتبر الاختلاف السابق الخاص كأنه اختلاف عام، وخوطب به المؤمنون جميعا؟ والجواب عن ذلك أن هذا للدلالة على وحدة الأمة، فما كان من ماضيها يخاطَب به حاضرها للاعتبار والاتعاظ، ولأن سبب الاختلاف في كل نفس لا يقي منه إلا الهداية. فما وقع من الماضين يُتوقع أن يقع من الحاضرين؛ لأن الإنسان ابن الإنسان، ولأن الخلاص طريقه واحد؛ فما خلص به الماضون يخلص به الحاضرون إن اعتزموا سلوك ما سلكه الذين مِن قبلهم.

والنعمة التي يذكرنا الله بها في قوله تعالى: (**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**) هي نعمة الهداية والتأليف القلبي، وهو أعظم النعم على الجماعات والأمم. وقد بينها سبحانه بقوله: (**إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**) فهذه نعمة بينة واضحة، وهذه النعمة ترتب عليها أثرها الجليل الخطير بفيض آخر من نعمته سبحانه أيضا؛ ولذا قال: (**فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**) فالنعمة الثانية التي كانت امتدادا للنعمة وفيضا لها هي نعمة الأخوة العامة التي تجعل الأهواء مشتركة، والمصالح متشابكة متوحدة، يتعاون كل واحد في الأمر الذي يحسنه لمصلحة الجميع.

والآية ترمي إلى بيان أن تآلف القلوب وحده نعمة، والأخوة المترتبة عليه المتعاونة نعمة أخرى. والتآلف معنى نفسي،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والأخوة مظهر اجتماعي عملي.

ولقد كان العرب قبل الإسلام مؤرَّقين بالاختلافات، وموزعين بالعصبية، وكل يوم في شقاق. ولقد حاولت حكماؤهم وأولو الرأي منهم التأليف بينهم، وإصلاح ذات بينهم بأفانين الدعاية؛ من خطابة وجاه وشعر.. فلم يصلوا إلى ما ابتغوا حتَّى ألَّف الله بين قلوبهم بالإسلام؛ فصاروا بذلك التأليف بمنزلة الإخوان. وهذه نعمة عاجلة في الدنيا، والدنيا كما نعرف ليست دار جزاء، فما بالك بما يكون في الآخرة وهي دار الجزاء والبقاء.

والناس إذا كانوا في حالة بُؤس وضنك واعتادوها صار الشقاء دأبهم، وذلت له نفوسهم فلم يشعروا بما هم فيه، ولا يتفطنوا لوخيم عواقبه. حتى إذا هُيىء لهم الصلاح، وأخذ يتطرق إليهم استفاقوا من شقوتهم، وعلموا سوء حالتهم. ولأجل هذا المعنى جمعت لهم هذه الآية في الامتنان بين ذكر الحالتين وما بينهما: (**إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**).

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى. وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائما. وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة. وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخوانا.

وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله، تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية، والرايات العنصرية.

ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال..

ولقد شدد سبحانه في التذكير بمآثم الاختلاف بعد أن أشار إلى نعمة الوفاق بقوله: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أي: كنتم -بسبب اختلافكم وضلالكم وعبادتكم للأوثان وانحراف تفكيركم- قد أوشكتم على أن تقعوا في النار بسبب تغلغلكم في أسبابها وسيركم في طريقكم حتى صرتم كأنكم على شفا حفرتها. وشفا الحفرة حرفها.

وقوله تعالى: (**فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا**) الضمير يعود إلى الحفرة؛ لأن مَن يكون على شفاها يقع فيها لا محالة؛ إلا أن يبعده مبعد عنها؛ فيكون منقذا له منها. والكلام فيه استعارة تمثيلية، وخلاصتها أنه شُبهت حالهم في ترديهم في الاختلاف والوثنية وسيرهم في طريق النار يوم القيامة بحال من يكون على طرف حفرة من النار لا يتماسك عن الوقوع فيها، وشُبهت هداية الله تعالى لهم بحال مَن يتولى تجنيبهم التردي في تلك الحال الخطرة الخطيرة.

وفي هذه الآيات جماع المنن التي أنعم بها عليهم؛ فقد أخرجهم بالإسلام من الشرك ومخازيه، وألف بين قلوبهم حتى صاروا سادة البشر؛ حين كانوا يعملون بكتابه، وأنقذهم بذلك من النار؛ فسعدوا بالحسنيين.

فانظر إلى آيات الله ودلائل قدرته؛ كيف حوّل قوما متخاذلين تملأ قلوبهم الإحن والعداوات، ويتربص كل منهم بالآخر ريب المنون؛ إلى جماعات متصافية القلوب، مليئة بالحب والإخلاص، وِجهتهم جميعا واحدة؛ هي رفعة الدين ونشره بين البشر.

ولقد ذكر سبحانه وتعالى سنته في بيان هدايته فقال: (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) أي: كهذا البيان الذي بينه الله سبحانه وتعالى لكم في محكم القرآن، وبين لكم به سبيل هدايتكم، وبين لكم به نعمة هدايتكم ونعمة أخوتكم. يبين سبحانه وتعالى دائما الآيات البينات سواء كانت تلك الآيات قرآنية أم كانت كونية؛ وذلك لتقربوا دائما من الهداية، ولتكون بين أيديكم أسبابها،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لعلكم تنالون الثمرة؛ وهي الاهتداء الدائم. والله سبحانه وتعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

والاختلاف الذي يقع بين البشر ضربان:

ضرب لا يسلم منه الناس، ولا يمكن الاحتراس منه، وهو الخلاف في الرأي والفهم، وهو مما فُطر عليه البشر، وإلى ذلك الإشارة بقوله: **﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾** [هود:118-119] إذ أن العقول والأفهام ليست متساوية. فالأسرة الواحدة تختلف أفهام أفرادها في الشيء الواحد، كما يختلف حبهم له وميلهم إليه. وهذا ضرب لا ضرر فيه.

ضرب جدَّت الشرائع في هدمه ومحوه؛ وهو تحكيم الرأي والهوى في أمور الدين وشئون الحياة.

وهذا الضرب من الخلاف –وهو تحكيم الرأي والهوى– كان مصدر شقاء أمم كثيرة؛ فهوت بعد رفعتها، وذلت بعد عزتها، وضعفت بعد قوتها.

والمسلم ما دام محافظا على نصوص دينه لا يخل بواحد منها، مع احترامه لرسوله المفسر لكتابه لا يخرج من جماعة المسلمين لمخالفته سواه. فإذا تحكم الرأي والهوى ولعن بعضهم بعضا، وكفر بعضهم بعضا؛ فقد باء بها من قالها كما ورد في الحديث.

وكذلك الحال في الاختلاف في المعاملة في المسائل السياسية والدينية، لا ينبغي أن يكون مفرقا بين جماعة المؤمنين، بل عليهم أن يرجعوا في النزاع إلى حكم الله وآراء أولي العلم منهم. وبذلك نتقي غائلة الخلاف، ونكون في وفاق، ونصير ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وذكر محمد بن إسحاق في السيرة وغيره أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج. وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه، وأمره أن يجلس بينهم، ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم (بُعاث)؛ ففعل. فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى (الحرّة).. فبلغ ذلك النبي **خ** فأتاهم، فجعل يسكنهم، ويقول: "**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم**"، وتلا عليهم هذه الآية.. فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح رضي الله عنهم.

فهذه صورة من جهد يهود لتقطيع حبل الله بين المتحابين فيه، القائمين على منهجه لقيادة البشرية في طريقه.. هذه صورة من ذلك الكيد الذي تكيده يهود دائما للجماعة المسلمة كلما تجمعت على منهج الله واعتصمت بحبله. وهذه ثمرة من ثمار طاعة أهل الكتاب.

كادت ترد المسلمين الأولين كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض، وتقطع بينهم حبل الله المتين الذي يتآخون فيه مجتمعين.

على أن مدلول الآية أوسع مدى من هذه الحادثة. فهي تشي بأنه كانت هناك حركة دائبة من اليهود لتمزيق شمل الصف المسلم في المدينة، وإثارة الفتنة والفرقة بكل الوسائل. والتحذيرات القرآنية المتوالية من إطاعة أهل الكتاب، ومن الاستماع إلى كيدهم ودسهم، ومن التفرق كما تفرقوا.. هذه التحذيرات تشي بشدة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من كيد اليهود في المدينة، ومن بذرهم لبذور الشقاق والشك والبلبلة باستمرار.. وهو دأب يهود في كل زمان. وهو عملها اليوم وغدا في الصف المسلم في كل مكان![1]

[1] زهرة التفاسير – تفسير المراغي – في ظلال القرآن – التحرير والتنوير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن أبي هريرة ت قال: قال رسول الله خ: **"إنَّ اللهَ يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أنْ تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأنْ تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفَرَّقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال"**. [رواه مسلم]

فيا عباد الله..

إن وحدة المسلمين واجتماعهم مطلب شرعي، ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة، بل من أهم أسباب التمكين لدين الله تعالى.

فباجتماع المسلمين على دينهم وائتلاف قلوبهم؛ يصلح دينهم وتصلح دنياهم.

وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها.. كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه؛ ولو أدى إلى الضرر العام!

% % %

ولا تنازعوا:

قال تعالى: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال:46]

وطاعة الله هي لب الاستقامة، وطهارة القلوب، وهي التي تكون بها قوة الإيمان، وقوة الإيمان دعامة الانتصار، وهي قوة الجهاد ودعامة الصبر.. وتلك عناصر الجهاد الحق في سبيل الله تعالى.

وتشمل طاعة الرسول خ طاعةَ أمرائه في حياته، لقوله خ: **"ومن أطاع أميري فقد أطاعني"**. [متفق عليه] ، وتشمل طاعة أمراء الجيوش بعد وفاة الرسول خ لمساواتهم لأمرائه الغائبين عنه في الغزوات والسرايا؛ في حُكم الغَيبة عن شخصه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(**وَلا تَنازَعُوا**): وأما النهي عن التنازع فهو يقتضي الأمر بتحصيل أسباب ذلك؛ بالتفاهم والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضا، حتى يصدروا عن رأي واحد، فإن تنازعوا في شيء رجعوا إلى أمرائهم لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ**﴾ [النساء:83]. وقوله: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء:59]

والنهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة لوُلاة الأمور؛ لأنهم إذا نُهوا عن التنازع بينهم، فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي. ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسَطَ القرآن القولَ فيه ببيان سيئ آثاره. قال تعالى: (**فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**) فحذرهم أمرين معلوما سوءُ مَغبتهما؛ وهما: الفشلَ وذهاب الريح . والفشل: انحطاط القوة. وهو هنا مراد به حقيقة الفشل في خصوص القتال ومدافعة العدو، ويصح أن يكون تمثيلاً لحال المتقاعس عن القتال بحال من خارت قوته وفشلت أعضاؤه في انعدام إقدامه على العمل. وإنما كان التنازع مفضيا إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائرَ، فيَحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضا، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال؛ فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم؛ فيتمكن منهم العدو.

فلا يكن منكم تنازع واختلاف؛ فإن ذلك مدعاة للفشل والخيبة وذهاب القوة؛ فيتغلب عليكم العدو.

والنهي عن التنازع يكون أولا بالنهي عن الخلاف؛ فإن الخلاف يؤدي إلى النزاع، والنزاع يؤدي إلى التنابذ والتدابر، وأن يكون كل فريق جمعا منفصلا عن الآخر، ويكون بأسهم بينهم شديدا. والأثر الواضح للتنازع هو الفشل؛ ولذا قال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تعالى: (فتفشلوا) الفاء للسببية تدل على أن ما بعدها سبب لما قبلها، أي أنه بسبب ذلك التنازع يكون الفشل. والفشل هو إخفاق الإنسان دون المهمة التي كان يرجوها من نفسه.

فإذا كان نزاع كان العجز عن عمل جماعي. لأن العمل الجماعي يجب أن تتضافر فيه القوى، ويكون كل جزء من الجماعة متعاونا مع الجزء الآخر؛ فتتحد القوى، وتتلاقى نحو هدف معين يجمعها. ووراء الفشل ذهاب القوة، ويطمع فيهم الطامعون.

(**وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**): أصل الريح الهواء المتحرك، ثم استعيرت للقوة والغلبة؛ لأنه لا يوجد في الأجسام ما هو أقوى منها. فهي تهيج البحار وتقتلع الأشجار وتهدم الدور والقلاع، ومِن ثَم يقال: هبت رياح فلان، إذا جرى أمره على ما يريد. كما يقال: ركدت رياحه، إذا ضعف أمره وولَّت دولته.

وكلمة (ريح) تعبر عن القوة المدمرة للهواء؛ لأن الريح إذا اتحدت قوتها واتجاهها أصبحت مدمرة. ولكن إن قابلتها ريح ثانية فالتوازن يحدث بين القوتين. ولذلك حين يستخدم الحق كلمة الريح لا يتكلم عنها إلا للتخريب والتدمير. أما إن تكلم عنها للخير فسبحانه يأتي بكلمة (رياح)؛ لأن تعدد اتجاهات الرياح هو الذي يوجد التوازن في الحياة. فإذا أراد الله أن يهلك بالريح جاء بها من جهة واحدة فتصير قوة الريح من ناحية لا تعادلها قوة أخرى للريح من الجهة المقابلة لتتعادل القوتان: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** ﴾ [الفرقان:48].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ** ﴾ [الحجر:22]. أي أن الرياح تنقل اللقاح بين النبات، فيتم التلقيح وتنبت الثمار ويأتي الخير.

ولكن هناك آية واحدة جاءت فيها كلمة (ريح) وكانت تحمل الخير في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا** ﴾ [يونس:22].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والله تعالى عندما استخدم كلمة (ريح) في هذه الآية وصفها بأنها (طَيِّبَةٍ). وهنا في الآية يقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ و(ريحكم) أي قوتكم؛ لأن الريح هنا معناها القوة التي تدمر عدوكم.

قال قتادة: لم يكن نصر إلا بريح يبعثها. وكان ذلك مناسبا فيكون الفشل فيه ذهاب للريح التي تكون القوة، ولقد روي أن النبي **خ** قال: "**نُصرتُ بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبُور**".[1] [متفق عليه]

وقد حذرهم الله تعالى من ثلاثة أمور: أولها: مخالفة الله ورسوله بالعمل بغير أمر الله ونهيه. والثاني: من مخالفة الرسول القائد، ومخالفة كل قائد رشيد. والأمر الثالث: من التنازع؛ فإن الاختلاف مضيعة الجيوش، ومهلكة الأمم.

فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم –مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة– فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع (الذات) في كفة، والحق في كفة؛ وترجيح الذات على الحق ابتداء!

وقد ختم الله سبحانه وتعالى الآية بقوله تعالى: (**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) وفي هذا النص الكريم يدعو الله تعالى إلى الصبر؛ لأنه قوة الجهاد، وقوة الطاعة، ويربي العزيمة، ويمنع الاختلاف؛ إذ إن الاختلاف ينشا عن الجزع والطمع.

---

[1] الصَّبَا: الريح الشرقية، والدَّبُور: الريح الغربية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

والصبر علاج الجزع والطمع معا. إذ الجزع ضعف في الإرادات وخور في العزيمة، والطمع يتنافى مع ضبط النفس، وضبط النفس لا يكون إلا مع الصابرين، والله تعالى مع الصابرين.

وقد رفع الله تعالى الصابرين إلى أعلى المراتب عند الله، فذكر سبحانه أنه يحب الصابرين: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:146]. والحب أعلى من الرضوان لأنه يتضمن رضا الله وأكثر منه، وهو أن يكون محبوبا عند الله. لأن الصبر تحمل المشقة في طاعة الله. وإن الحرص على معية الله تعالى ومحبته غاية المؤمنين الصادقين.[1]

وقد حذر الله الجماعة المسلمة من التفرق والاختلاف؛ وأنذرها عاقبة الذين حملوا أمانة منهج الله قبلها –من أهل الكتاب– ثم تفرقوا واختلفوا؛ فنزع الله الراية منهم، وسلمها للجماعة المسلمة المتآخية:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:105]

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: (**وَلَا تَكُونُوا**) يا معشر الذين آمنوا (**كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا**) من أهل الكتاب، (**وَاخْتَلَفُوا**) في دين الله وأمره ونهيه (**مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**) من حُجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمرَ الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله.. (**وَأُولَئِكَ لَهُمْ**) يعني: ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم (**عَذَابٌ**) من عند الله (**عَظِيمٌ**). يقول جل ثناؤه:

فلا تتفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرُّق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم وتستنوا في دينكم بسنتهم؛ فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم.

[1] زهرة التفاسير – تفسير المراغي – التحرير والتنوير – تفسير الشعراوي – في ظلال القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وعن ابن عباس ب: قوله: (وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ) ونحو هذا في القرآن: أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك مَن كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله. [تفسير الطبري]

فيا عباد الله..

عودوا إلى ظلِّ الحبيبِ وهَديِهِ ... في عالَمٍ ماجَتْ بهِ الآثامُ
عودوا كما كنتم بقلبٍ واحدٍ ... فإذا اشتكى عمروٌ حماهُ هشامُ
سأظلُّ منْ خوفي أردِّدُ صارخا ... إنَّ الرماحَ إذا افترقنَ حُطامُ [1]

%%%

وألف بين قلوبهم:

إن من الأصول العظيمة التي تحقق وحدة الصف وقوة التلاحم، ومتانة التماسك بين أفراد المسلمين تحقيق الأخوة في أوساطهم. إن الأخوة منحة من الله عز وجل يعطيها الله للمخلصين من عباده والأصفياء والأتقياء من أوليائه وجنده وحزبه.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:62-63].

هو الذي أيدك بنصره أول مرة، وأيدك بالمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وجعل منهم قوة موحدة بعد أن كانت قلوبهم شتى، وعداواتهم جاهرة وبأسهم

[1] من قصيدة "لن تنحني يا أمتي" للشاعر/ عبد الناصر منذر رسلان

This file was downloaded from QuranicThought.com

بينهم شديدا.

سواء كان المقصود هم الأوس والخزرج -وهم الأنصار-؛ فقد كان بينهم في الجاهلية من الثارات والدماء والمنازعات ما يستحيل معه الالتئام فضلاً على هذا الإخاء الذي لم تعرف له الأرض نظيرا ولا شبيها.. أو كان المقصود هم المهاجرون وهم كانوا كالأنصار في الجاهلية.. أو كان الجميع مقصودين؛ فقد كانت هذه هي حالة عرب الجزيرة جميعا!

ولقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله، والتي لا تصنعها إلا هذه العقيدة؛ فاستحالت هذه القلوب النافرة، وهذه الطباع الشَّموس، إلى هذه الكتلة المتراصة المتآخية الذلول بعضها لبعض، المحب بعضها لبعض، المتآلف بعضها مع بعض؛ بهذا المستوى الذي لم يعرفه التاريخ، والذي تتمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة -أو يمهد لحياة الجنة وسمتها البارزة- : ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر:47] إن هذه العقيدة عجيبة فعلا. إنها حين تخالط القلوب تستحيل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب التي تلين قاسيها، وترقق حواشيها، وتندي جفافها، وتربط بينها برباط وثيق عميق رفيق؛ فإذا نظرة العين، ولمسة اليد، ونطق الجارحة، وخفقة القلب.. ترانيم من التعارف والتعاطف، والولاء والتناصر، والسماحة والهوادة.. لا يعرف سرها إلا مَن ألف بين هذه القلوب، ولا تعرف مذاقها إلا هذه القلوب!

وهذه العقيدة تهتف للبشرية بنداء الحب في الله، وتوقع على أوتارها ألحان الخلوص له والالتقاء عليه. فإذا استجابت وقعت تلك المعجزة التي لا يدري سرها إلا الله، ولا يقدر عليها إلا الله.

ولو أن القلوب ظلت على تنافرها لما استطاعت الجماعة المسلمة الأولى أن تواجه أعداء الإسلام، ولشغلتها حروبها الداخلية عن نصرة الدين والدفاع عنه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومواجهة الكفار. ولكن الله ألف بين قلوب المسلمين بحيث أصبح الإسلام في قلوبهم وأعمالهم وأسلوب حياتهم هو أقوى رابطة تربط بينهم. فأصبحت أخوة الدين أقوى من أخوة النسب. وحين تتآلف القلوب؛ فهذا أقوى رباط؛ لأن كل عمل يقوم به الإنسان إنما ينشأ عن عقيدة في القلب.

والقلب هو الينبوع لكل المشاعر. ولذلك نرى الإنسان يُضَحِّي بكل شيء وربما ضحَّى بحريته وبماله في سبيل ما آمن به واستقر في قلبه، ونحن نرى العلماء في معاملهم يعيشون سنوات طويلة ويحرمون أنفسهم من متع الحياة الدنيا لأن العلم قد تحول إلى عقيدة في قلوبهم؛ سواء أكانوا مسلمين أم غير ذلك. فكأنما نية القلب وما يستقر فيها هي أقوى ما في الحياة.

ولم تكن المسألة في تأليف القلوب مسألة احتياج إلى مال؛ لأن المال لا يمكن أن يعطي الحب الحقيقي. ولذلك فهناك بين الناس ارتباط مصالح وارتباط قلوب، وارتباط المصالح ينتهي بمجرد أن تهتز أو تنتهي هذه المصالح، لكن ارتباط القلوب يتحدى كل الأزمات. وأنت لا تستطيع أن تجعل إنسانا يحبك حقيقة مهما أعطيته من مال؛ لأن الحب الحقيقي لا يُشترى ولا يُباع، إنما يشترى النفاق والتظاهر وغير ذلك من المشاعر السطحية. والعرب الذين ألف الله بين قلوبهم لم يكن يهمهم المال بقدر ما تهمهم الحمية والعصبية، فغالبيتهم يملكون الثروات، ولكن الفُرْقة فيما بينهم نابعة من الحمية والعصبية التي تجعل في القلوب غلاً وحسدا وحقدا؛ لذلك تنفعل جوارحهم.

وإن أعظم أسباب النصر بعد تأييد الله تأليف القلوب

و(التأليف) إيجاد ألفة بين الجماعات، بحيث يألف كل واحد من الجماعة صاحبه، كالألفة التى أنشأتها المؤاخاة بين المؤمنين. وهو غير الاتحاد؛ لأن الاتحاد الاجتماع على أمر بالرأى والنظر، وقد لا يأتلف واحد صاحبه، وذلك قد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يكون باجتماع على فكرة أو حزب، ولا يشترط فيه تلاقى قلوب الاجتماع، وائتلاف النفوس. وإن ذلك لا يستطيعه إلا الله، لقد ألف الله تعالى بين المؤمنين والمهاجرين حتى كان الأنصار يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وألف بين الأنصار بعضهم مع بعض حتى زال ما بين الأوس والخزرج ما كان بينهما من حروب، وامتزجت نفوس القبائل المهاجرة حتى زالت من بينهم العصبية الجاهلية.. وإن تأليف القلوب لا يمكن أن يجيء إلا من عمل مقلب القلوب ومؤلف الأرواح، وقد بين الله استحالة ذلك إلا من الله فقال: (**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**) : (ما في الأرض جميعا) مبالغة حسنة لوقوعها مع حرف (لو) الدال على عدم الوقوع.

وكما أن خلق شيء من العدم لا يكون إلا من خالق الوجود، وكما أن الزرع لا يخرج من كمئه إلا من الله، وكما أن الله يذرأ الإنسان.. كهذه كلها يكون التأليف بعد النفور، والمودة بعد العداوة.. كذلك خلق الله تعالى هذا التأليف فى النفوس؛ لتكون الجماعة القوية المتآلفة المتآزرة التي يكون فيها البنيان يشد بعضه بعضا، وإن ذلك مستحيل من العبيد؛ فلو ملكتَ -يا محمد- كل ما في الأرض جميعا، وأنفقته طالبا بهذا الإنفاق أن تؤلف القلوب؛ ما استطعت لأنك لا تستطيع أنت ومن في الأرض جميعا أن تخلقوا ذبابا! والتأليف لا يملكه إلا الخالق؛ فهو ليس في مقدور أحد من العباد. ثم قال: (**وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**) ارتقاء في القول من قدرة الإنسان العاجز إلى ما يملكه الخالق القادر.

وإن هذا التأليف كما قلنا هو الذي أوجد الجماعة الإسلامية الأولى التي كانت الخلية التي بذرت فيها بذرة الإسلام؛ فنمت وترعرعت، وكانت قوة الإسلام.

قال الزمخشري في معنى ذلك التأليف: [التأليف بين قلوب مَن بُعث إليهم رسول الله من الآيات الباهرة؛ لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على الضغينة في أدنى شيء، وإبقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا؛ لا يكاد يأتلف منهم قلبان! ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله خ واتحدوا، وأنشأوا يرمون عن قوس واحد، وذلك لما نظم الله من ألفتهم، وجمع من كلمتهم، وأحدث بينهم من التحاب والتواد، وأماطه عنهم من التباغض والتماقت، وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله.. ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء، ويصنع فيها ما أراد. وإنه إذا كان للنبى خ خوارق عادات غير معجزة القرآن؛ فهذا أشد خوارق العادات وضوحا وبيانا.

وإن الآية تدل على تأليف قلوب العرب الذين كانوا أول من خوطب بالرسالة، يستوي في ذلك المهاجري والأنصاري والأوسي والخزرجي. بهذا نما الإسلام قويا عزيزا غالبا بقوة الله وقدرته.] ا.هـ

وقد ختم الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله: **(إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** فهو عزيز يخلق العزة وأسبابها، عالم يجمع القلوب بحكمته وتدبيره، وهو الذي أحاط بكل شيء علما.

وفيه إشارة إلى أمرين:

أولهما: أن ائتلاف القلوب والتحاب والتواد، والبعد عن التباغض والتنابز؛ هما عماد العزة والتدبير الحكيم.

وثانيهما: إنه لا غلب ولا سلطان إلا بالتآلف، وأن يصير المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.[2]

ولا يذوق حلاوة الإيمان إلا من أُشرب هذه الأخوة، قال رسول الله خ: **"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما**

[2] في ظلال القرآن – تفسير الشعراوي – زهرة التفاسير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار". [رواه البخاري]

إن القرآن الكريم يرسم لنا صورة جميلة لأصحاب رسول الله خ، قال تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** [الفتح:29].

إن القرآن الكريم حين وضع بين دفتيه هذه الصورة، إنما يخبرنا بتكريم الله عز وجل؛ فهم (**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**).

أشداء على الكفار ولو كان فيهم الآباء والقرابة والأبناء. رحماء بينهم، وهذه الأخوة في الحق؛ أخوة في الدين. إن الأخوة في الله من أهم الأسباب التي تعمل على الصمود في وجه أعتى المحن التي تنزل بالمسلمين، كما أن الفهم المتبادل والكامل للأخوة في الله من أسباب تماسك صفوف المسلمين وقوتهم، ومن أسباب شموخهم والتمكين لهم. إن النبي خ اعتمد على معاني الأخوة وعمل على تحقيقها وجعلها من الوسائل المهمة في بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، **وأن أهمية هذا الأساس تظهر في الجوانب التالية:**

- إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير التآخي والمحبة المتبادلة. فكل جماعة لا تؤلف بينها آصرة المودة والتآخي الحقيقية، لا يمكن أن تتحد حول مبدأ ما، وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة، فلا يمكن أن تتألف منها الدولة. على أن التآخي لابد أن يكون مسبوقا بعقيدة يتم اللقاء عليها والإيمان بها، فالتآخي بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى خرافة ووهم؛ خصوصا إذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كانت تلك الفكرة أو العقيدة مما يحمل صاحبها على سلوك معين في الحياة العملية، ومن أجل ذلك فقد جعل رسول الله خ أساس الأخوة التي جمع عليها أفئدة أصحابه، العقيدة الإسلامية التي جاء بها من عند الله تعالى، والتي تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله تعالى دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح. إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس شتتتهم العقائد والأفكار المختلفة فأصبح كل منهم مِلكا لأنانيته وأهوائه.

❖ إن المجتمع -أي مجتمع- إنما يختلف عن مجموعة ما من الناس منتشرة متفككة بشيء واحد هو قيام مبدأ التعاون والتناصر فيما بين أشخاص هذا المجتمع، وفي كل نواحي الحياة ومقوماتها، فإن كان هذا التعاون والتناصر قائمين دون ميزان العدل والمساواة فيما بينهم، فذلك هو المجتمع الظالم المنحرف.

وإذا كان المجتمع المسلم إنما يقوم على أساس من العدالة في الاستفادة من أسباب الحياة والرزق، فما الذي يضمن سلامة هذه العدالة وتطبيقها على خير وجه؟ إن الضمانة الطبيعية والفطرية الأولى لذلك إنما هي التآخي والتآلف.

إن مبادئ العدالة والمساواة بين الأفراد لا تتحقق ما لم تقم على أساس من التآخي والمحبة فيما بينهم. بل إن هذه المبادئ لا تعدو أن تكون حينئذ مصدر أحقاد وضغائن تشيع بين أفراد ذلك المجتمع، ومن شأن الأحقاد والضغائن أن تحمل في طيها بذور الظلم والطغيان في أشد الصور والأشكال.

من أجل هذا اتخذ رسول الله خ من حقيقة التآخي الذي أقامه بين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المهاجرين والأنصار أساسا لمبادئ العدالة الاجتماعية التي قام على تطبيقها أعظم وأروع نظام اجتماعي في العالم، ولقد تدرجت مبادئ هذه العدالة فيما بعد بشكل أحكام وقوانين شرعية ملزمة.

ولكنها كلها إنما تأسست وقامت على تلك (الأرضية) الأولى؛ ألا وهي الأخوة الإسلامية. ولولا هذه الأخوة العظيمة التي تأسست بدورها على حقيقة العقيدة الإسلامية لما كان لتلك المبادئ أي أثر تطبيقي وإيجابي في شد أزر المجتمع الإسلامي ودعم كيانه.

- ❖ لم يكن ما أقامه الرسول خ بين أصحابه من مبدأ التآخي مجرد شعار في كلمة أجراها على ألسنتهم، وإنما كان حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين، ولذلك جعل النبي خ من هذه الأخوة مسئولية حقيقية تشيع بين هؤلاء الأخوة، وكانت هذه المسئولية محققة فيما بينهم على خير وجه. لقد كانت رابطة الأخوة بين الصحابة الكرام من أسباب قوتهم ونصرة الله لهم.
- ❖ إن مناط الأخوة وأساسها، إنما هو رابط الإسلام وعقيدته الصحيحة؛ وهي من أهم أسباب وحدة الصف وقوة البنيان بين أفراد الأمة المسلمة التي تسعى لتحكيم شرع الله تعالى، كما لا ننسى أن من أسباب وحدة صفوف الأمة: العلم النافع، والإخلاص، وتجريد المتابعة، وغير ذلك من الأسباب المعنوية التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله خ لتوحيد صفوف الأمة.

إن التحابب بين المسلمين والحرص على روابط الأخوة المستمدة من الإيمان والعقيدة سر قوة الأمة، ومفتاح نجاحها.[1]

---

[1] تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين: د. علي الصلابي (بتصرف يسير)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالأخوة في الله من أهم الركائز التي يقوم عليها المجتمع المسلم. وهي ضرورية كي يقوم كيان الجماعة المسلمة على الحب والتكافل اللذين تختفي في ظلالهما مشاعر الأثرة، وتتضاعف بهما مشاعر الإيثار. الإيثار المنطلق في يسر، المندفع في حرارة، المطمئن الواثق المرتاح.

وهكذا قامت الجماعة المسلمة الأولى في المدينة على ركيزتين أساسيتين: على الإيمان بالله؛ ذلك الإيمان المنبثق من معرفة الله سبحانه وتَمَثُّل صفاته في الضمائر؛ وتقواه ومراقبته، واليقظة والحساسية إلى حد غير معهود إلا في الندرة من الأحوال. وعلى الحب.. الحب الفياض الرائق. والود.. الود العذب الجميل. والتكافل.. التكافل الجاد العميق. وبلغت تلك الجماعة في ذلك كله مبلغا؛ لولا أنه وقع لعُد من أحلام الحالمين! وقصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قصة من عالم الحقيقة، ولكنها في طبيعتها أقرب إلى الرؤى الحالمة! وهي قصة وقعت في هذه الأرض. ولكنها في طبيعتها من عالم الخلد والجنان!

وعلى مثل ذلك الإيمان ومثل هذه الأخوة يقوم

منهج الله في الأرض في كل زمان..[1]

حبذا العيشُ حين قومي جميعًا لم تفرق أمورَها الأهواءُ

% % %

فأصلحوا بين أخويكم:

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**

[1] في ظلال القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الحجرات:9-10]

في الصحيحين عن أنس بن مالك ت أن الآية نزلت في قصة مرور رسول الله خ على مجلس فيه عبد الله بن أُبيّ بن سَلول ورسول الله خ على حمار، فوقف رسول الله خ وبال الحمار. فقال عبد الله بن أُبَيّ: خلِّ سبيل حمارك فقد آذانا نتنه. فقال له عبد الله بن رواحة: والله إن بول حماره لأطيَبُ من مسكك. فاستَبَّا وتجالدا وجاء قوماهما الأوس والخزرج؛ فتجالدوا بالنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله خ فأصلح بينهم. فنزلت هذه الآية.

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد ب: وليس فيه أن الآية نزلت في تلك الحادثة.

ويؤكد هذا أن تلك الوقعة كانت في أول أيام قدوم رسول الله خ المدينة، وهذه السورة نزلت سنة تسع من الهجرة، وأن أنس بن مالك لم يجزم بنزولها في ذلك لقوله: فبلغنا أن نزلت فيهم: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**). اللهم أن تكون هذه الآية أُلحقت بهذه السورة بعد نزول الآية بمدة طويلة. وعن قتاده والسدي: أنها نزلت في فتنة بين الأوس والخزرج بسبب خصومة بين رجل وامرأته؛ أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج. انتصر لكل منهما قومه حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال والعصيّ. فنزلت الآية، فجاء النبي خ فأصلح بينهما.

وهذا أظهر من الرواية الأولى. فكانت حكما عاما نزل في سبب خاص.

ذكر الفخر الرازي / في تفسيره أن في الآية مسائل:

[**المسألة الأولى**: قوله تعالى: (**وَإِنْ**) إشارة إلى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين. فإن قيل: فنحن نرى أكثر الاقتتال بين طوائفهم! نقول: قوله تعالى:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(وإِنْ) إشارة إلى أنه ينبغي أن لا يقع إلا نادرا. غاية ما في الباب أن الأمر على خلاف ما ينبغي.

المسألة الثانية: قال تعالى: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ**) ولم يقل: وإن فرقتان. تحقيقا للمعنى الذي ذكرناه وهو التقليل؛ لأن (الطائفة) دون (الفرقة)، ولهذا قال تعالى: **↓فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلّ فِرْقَةٍ مّنْهُمْ طَائِفَةٌ↑** [التوبة:122]

المسألة الثالثة: قال تعالى: (**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) ولم يقل: منكم، مع أن الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى: **↓يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ↑** [الحجرات:6] تنبيها على قبح ذلك، وتبعيدا لهم عنه. كما يقول السيد لعبده: إن رأيتَ أحدا من غلماني يفعل كذا فامنعه. فيصير بذلك مانعا للمخاطَب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن. كأنه يقول: أنت حاشاك أن تفعل ذلك، فإن فعل غيرك فامنعه. كذلك ههنا قال: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)، ولم يقل: منكم. لما ذكرنا من التنبيه مع أن المعنى واحد.

المسألة الرابعة: قال تعالى: (**اقْتَتَلُوا**)، ولم يقل: يقتتلوا. لأن صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار، فيفهم منه أن طائفتين من المؤمنين إن تمادى الاقتتال بينهما فأصلحوا. وهذا لأن صيغة المستقبل تنبئ عن ذلك. يقال: فلان يتهجد ويصوم.

المسألة الخامسة: قال: (**اقْتَتَلُوا**)، ولم يقل: اقتتلا. وقال: (**فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا**)، ولم يقل: بينهم. ذلك لأن عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة، وكل أحد برأسه يكون فاعلاً فعلاً، فقال: (**اقْتَتَلُوا**)، وعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة، وإلا لم يكن يتحقق الصلح، فقال: (**بَيْنَهُمَا**) لكون الطائفتين حينئذ كنفسين.

ثم قال تعالى: (**فَإِن بَغَتْ إِحَدَاهُمَا**) إشارة إلى نادرة أخرى وهي البغي؛ لأنه غير متوقع. فإن قيل: كيف يصح في هذا الموضع كلمة (إن) مع أنها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع وقوعه، وبغي أحدهما عند الاقتتال لا بد منه؛ إذ كل واحد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

منهما لا يكون محسنا. فقوله: (إن) تكون من قبيل قول القائل: إن طلعت الشمس! نقول: فيه معنى لطيف، وهو أن الله تعالى يقول: الاقتتال بين طائفتين لا يكون إلا نادر الوقوع، وهو كما تظن كل طائفة أن الأخرى فيها الكفر والفساد، فالقتال واجب كما سبق في الليالي المظلمة، أو يقع لكل واحد أن القتال جائز بالاجتهاد، وهو خطأ. فقال تعالى: الاقتتال لا يقع إلا كذا، فإن بان لهما أو لأحدهما الخطأ واستمر عليه فهو نادر؛ وعند ذلك يكون قد بغى. فقال: (**فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى**) يعني بعد استبانة الأمر. وحينئذ فقوله: (**فَإِن بَغَتْ**) في غاية الحسن لأنه يفيد الندرة وقلة الوقوع.] [مفاتيح الغيب (باختصار)]

(**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**): قال ابن كثير: سماهم مؤمنين مع الاقتتال. وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم. وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن، عن أبي بكرة أن رسول الله **خ** خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: "**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**". فكان كما قال صلوات الله وسلامه عليه، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق، بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة. ا.هـ

والبغي: الظلم والاعتداء على حق الغير، وهو هنا مستعمل في معناه اللغوي وهو غير معناه الفقهي. فـ(التي تبغي) هي الطائفة الظالمة الخارجة عن الحق وإن لم تقاتل لأن بغيها يحمل الطائفة المبغِي عليها أن تدافع عن حقها. وإنما جعل حكم قتال الباغية أن تكون طائفة؛ لأن الجماعة يعسر الأخذ على أيدي ظلمهم بأفراد من الناس وأعوان الشرطة؛ فتعين أن يكون كفهم عن البغي بالجيش والسلاح.

وهذا في التقاتل بين الجماعات والقبائل، فأما خروج فئة عن جماعة المسلمين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فهو أشد. وليس هو مورد هذه الآية، ولكنها أصل له في التشريع. وقد بغى أهل الردة على جماعة المسلمين بغيا بغير قتال؛ فقاتلهم أبو بكر ت. وبغى بغاة أهل مصر على عثمان ت فكانوا بغاة على جماعة المؤمنين؛ فأبى عثمان قتالهم وكره أن يكون سببا في إراقة دماء المسلمين اجتهادا منه؛ فوجب على المسلمين طاعته لأنه وليُّ الأمر، ولم يَنفُوا عن الثوار حكم البغي.

ويتحقق وصف البغي بإخبار أهل العلم أن الفئة بغت على الأخرى، أو بحكم الخليفة العالم العدل، وبالخروج عن طاعة الخليفة وعن الجماعة بالسيف إذا أمر بغير ظلم ولا جور ولم تُخش من عصيانه فتنةٌ؛ لأن ضرر الفتنة أشد من الجور في غير إضاعة المصالح العامة من مصالح المسلمين، وذلك لأن الخروج عن طاعة الخليفة بغي على الجماعة الذين مع الخليفة.

وقد كان تحقيق معنى البغي وصُورهُ غير مضبوط في صدر الإسلام، وإنما ضبطه العلماء بعد وقعة (الجمل) ولم تطل، ثم بعد وقعة (صفين)، وقد كان القتال فيها بين فئتين.

والأمر في قوله: (**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**) للوجوب؛ لأن هذا حُكم بين الخصمين، والقضاء بالحق واجب لأنه لحفظ حق المحق، ولأن ترك قتال الباغية يجرّ إلى استرسالها في البغي وإضاعة حقوق المبغي عليها في الأنفس والأحوال والأغراض، والله لا يحب الفساد. ولأن ذلك يجرئ غيرها على أن تأتي مثل صَنيعها فمقاتلتها زجر لغيرها. وهو وجوب كفاية ويتعين بتعيين الإمام جيشا يوجهه لقتالها إذ لا يجوز أن يلي قتال البغاة إلا الأئمة والخلفاء. فإذا اختل أمر الإمامة فليتولَّ قتال البغاة السوادُ الأعظم من الأمة وعلماؤها. فهذا الوجوب مطلق في الأحوال تقيده الأدلة الدالة على عدم المصير إليه إذا عُلم أن قتالها يجرّ إلى فتنة أشد من بغيها. وقد تلتبس الباغية من الطائفتين المتقاتلتين؛ فإن أسباب التقاتل قد تتولد من أمور لا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يُؤْبَه بها في أول الأمر ثم تثور الثائرة ويتجالد الفريقان فلا يُضبط أمر الباغي منهما. فالإصلاح بينهما يزيل اللبس؛ فإن امتنعت إحداهما تعين البغي في جانبها؛ لأن للإمام والقاضي أن يجبر على الصلح إذا خشي الفتنة ورأى بوارقها، وذلك بعد أن تُبيَّن لكلتا الطائفتين شبهتها إن كانت لها شبهة وَتُزال بالحجة الواضحة والبراهين القاطعة. ومَن يَأْبى منهما فهو أعق وأظلم.

وجعل الفَيْء إلى أمر الله غاية للمقاتلة، أي يستمر قتال الطائفة الباغية إلى غاية رجوعها إلى أمر الله. وأمر الله هو ما في الشريعة من العدل والكف عن الظلم، أي حتى تقلع عن بغيها.

قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل؛ لما أقيم حد، ولا أُبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم؛ بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم. وذلك مخالف لقوله **خ: "خذوا على أيدي سفهائكم"**[1]. ا.هـ

والعدل: هو ما يقع التصالح عليه بالتراضي والإنصاف، وأن لا يضر بإحدى الطائفتين. فإن المتالف التي تلحق كلتا الطائفتين قد تتفاوت تفاوتا شديدا فتجب مراعاة التعديل.

وقُيد الإصلاحُ المأمور به ثانيا بقيد أن تفيء الباغية بقيد **(بِالْعَدْلِ)**. ولم يقيد الإصلاح المأمور به، وهذا القيد يقيد به أيضا الإصلاح المأمور به أولا لأن القيد من شأنه أن يعود إليه لاتحاد سبب المطلق والمقيد. أي يجب العدل في صورة الإصلاح فلا يضيعوا بصورة الصلح منافع عن كلا الفريقين إلا بقدر ما تقتضيه حقيقة الصلح من نزول عن بعض الحق بالمعروف.

---

[1] أخرجه البيهقي في "الشعب"، ورواه الطبراني في "الكبير"، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم أمر المسلمين بالعدل بقوله: (**وَأَقْسِطُوا**) أمرا عاما تذييلا للأمر بالعدل الخاص في الصلح بين الفريقين، فشمل ذلك هذا الأمر العام أن يعدلوا في صورة ما إذا قاتلوا التي تبغي. ثم قال: (**فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**). وهذا إصلاح ثانٍ بعد الإصلاح المأمور به ابتداء. ومعناه: أن الفئة التي خضعت للقوة وألقت السلاح تكون مكسورة الخاطر شاعرة بانتصار الفئة الأخرى عليها، فأوجب على المسلمين أن يصلحوا بينهما بترغيبهما في إزالة الإحن والرجوع إلى أُخُوَّة الإسلام لئلا يعود التنكر بينهما.

قال أبو بكر بن العربي: ومن العدل في صلحهم أن لا يُطالبوا بما جرى بينهم مدة القتال من دم ولا مال فإنه تلف على تأويل، وفي طلبهم به تنفير لهم عن الصلح، واستشراء في البغي. وهذا أصل في المصلحة. ا.هـ

فأما حكم تصرف الجيش المقاتل للبغاة فكأحوال الجهاد؛ إلا أنه لا يُقتل أسيرهم، ولا يُتَّبع مدبرهم، ولا يُذفَّف[1] على جريحهم، ولا تُسبى ذراريهم، ولا تغنم أموالهم، ولا تسترق أسراهم.

وللفقهاء تفاصيل في أحوال جبر الأضرار اللاحقة بالفئة المعتدَى عليها والأضرار اللاحقة بالجماعة التي تتولى قتال البغاة. فينبغي أن يؤخذ من مجموع أقوالهم ما يرى أولو الأمر المصلحة في الحمل عليها جريا على قوله تعالى: (**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**).

وهذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك تحت النزوات والاندفاعات. وسواء كان نزول هذه الآية بسبب حادث معين كما ذكرت الروايات، أم كان تشريعا لتلافي مثل هذه الحالة؛ فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية من التفكك

[1] الذَّف: الإجهاز على الجريح.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والتفرق. ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح. والارتكان في هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته بإقرار العدل والصلاح.

(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**): تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم. فالجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة. وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين.

وقد تقرر ذلك في تضاعيف كلام الله تعالى وكلام رسوله خ. من ذلك قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [الحشر:10]، وهي سابقة في النزول على هذه السورة. وآخى النبي خ بين المهاجرين والأنصار حين وروده المدينة، وذلك مبدأ الإخاء بين المسلمين. وفي صحيح البخاري: "**ولو كنتُ متخذًا خليلا غيرَ ربي لاتخَذتُ أبا بكر ولكنْ أُخُوَّةُ الإسلامِ ومودتُهُ**". وفي صحيح مسلم: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**". وفي الحديث الصحيح: "**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه**".

فأشارت جملة (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**) إلى وجه وجوب الإصلاح بين الطائفتين المُتبَاغِيَتَيْن منهم ببيان أن الإيمان قد عَقَد بين أهله من النسب الموحَى ما لا ينقص عن نسب الأخوة الجسدية على نحو قول عمر بن الخطاب للمرأة التي شكت إليه حاجة أولادها وقالت : أنا بنت خُفاف بن أيْمَاء، وقد شهد أبي مع رسول الله الحديبية. فقال عمر: "مرحبا بنسب قريب". ولما كان المتعارف بين الناس أنه إذا نشبت مُشاقّة بين الأخوين لزم بقية الإخوة أن يتناهضوا في إزاحتها مشيا بالصلح

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بينهما. فكذلك شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم أن ينهض سائرهم بالسعي بالصلح بينهما وبثِّ السفراء إلى أن يرقعوا ما وهى، ويرفعوا ما أصاب ودهَى.

ولمَّا تقرر معنى الأخوة بين المؤمنين كمالَ التقرّر عُدل عن أن يقول: فأصلحوا بين الطائفتين، إلى قوله: (**بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**)؛ فهو وصف جديد نشأ عن قوله : (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**)، فتعين إطلاقه على الطائفتين. فليس هذا من وضع الظاهر موضع الضمير فتأمل.

وأوثرت صيغة التثنية في قوله: (**أَخَوَيْكُمْ**) مراعاة لكون الكلام جار على طائفتين من المؤمنين؛ فجعلت كل طائفة كالأخ للأخرى.

والمخاطب بقوله: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) جميع المؤمنين؛ فيشمل الطائفتين الباغية والمبغي عليها، ويشمل غيرهما ممن أُمروا بالإصلاح بينهما ومقاتلة الباغية. فتقوى كل بالوقوف عند ما أمر الله به كُلًّا مما يخصه. ومعنى (**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**): تُرجى لكم الرحمة من الله فتجري أحوالكم على استقامة وصلاح. وإنما اختيرت الرحمة لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين، وشأن تعامل الإخوة الرحمة؛ فيكون الجزاء عليها من جنسها.[1]

ويذكِّر د. محمد الدويش بأنه [**من المهم حين يشيع خلاف تبدو منه بوادر الافتراق أن يسعى المصلحون للأخذ بزمام المبادرة، فيبذلون وسعهم في الإصلاح ورأب الصدع قبل أن يتأصل الخلاف وتطول الخصومة.**

وقد كان سيد الخلق **خ** معنيا بذلك كما مر بنا في سبب نزول الآيات.

[1] التحرير والتنوير – في ظلال القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عن سهل بن سعد الساعدي ت أن رسول الله خ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج رسول الله خ يُصلح بينهم في أناس معه، فحبس رسول الله خ وحانت الصلاة". [رواه البخاري]

وفي حادثة الإفك انشغل النبي خ بالإصلاح بين المسلمين، وترك ما كان يريد الحديث عنه من أمر عظيم ألا وهو عِرْضُه خ، وترك الحديث عن اتهام أحد أصحابه للآخر بالنفاق؛ ففي حديث الإفك: "فقال رسول الله خ: مَن يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله! أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد ابن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحا، ولكن احتملته الحمية فقال: كذبتَ لَعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك! فقام أسيد بن حضير فقال: كذبتَ لَعَمْرُ اللهِ واللهِ لنقتلنه؛ فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان: الأوس والخزرج؛ حتى هموا ورسول الله خ على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت". [رواه البخاري]

ويعظم سعيد بن المسيب / شأن الإصلاح فيقول: ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى! قال: إصلاح ذات البين، وإياكم والبغضة؛ فإنها هي الحالقة.

وكان لأهل السنة اعتناء بذلك؛ فها هو شيخ الإسلام ابن تيمية / يكتب لطائفة من إخوانه الذين تجاوزوا في ذلك فيقول: "والذي أوجب هذا الكلام أن وفدكم حدثونا بأشياء من الفرقة والاختلاف بينكم حتى ذكروا: أن الأمر آل إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قريب المقاتلة؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والله هو المسئول أن يؤلف بين قلوبنا وقلوبكم، ويصلح ذات بيننا، ويهدينا سبل السلام ويخرجنا من الظلمات إلى النور ويجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ويبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وأزواجنا وذرياتنا ما أبقانا، ويجعلنا شاكرين لنعمه مثنين بها عليه قابليها ويتممها علينا. وذكروا أن سبب ذلك الاختلاف في (مسألة رؤية الكفار ربهم). وما كنا نظن أن الأمر يبلغ بهذه المسألة إلى هذا الحد؛ فالأمر في ذلك خفيف. ثم ذكر الجواب".] [1]

ويقول العلامة السعدي / في "وجوب التعاون بين المسلمين": الجهاد نوعان: جهاد يُقصد به صلاح المسلمين، وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم، وجميع شئونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية. وهذا النوع هو الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم. وهذا نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان.

ثم أفرد / فصلا بعنوان: "الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة"، وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على وجوب تعاون المسلمين ووحدتهم قال:

فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية.

يقول د. علي الصلابي: ولذلك نرى أن الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد؛ لأن هذه الخطوة مهمة جدا في إعزاز

[1] وحدة الصف ضرورة: د. محمد الدويش (باختصار)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المسلمين وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم. [تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين]

% % %

وقد تفرغتم لهذا؟!

يقول د. عبد الحليم عويس: دخل ثلاثةُ نفر على الخليفة الراشدي الرابع أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ت؛ فسألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر ب وقالوا له: ما تقول فيهما؟ ثم قالوا له: بيِّن رأيك فيهما وفي عثمان ت. فردَّ عليهم الإمام علي ت بعبارة يجب أن تكتب بماء الذهب؛ يقول لهم فيها:

وقد تفرَّغتم لهذا؟!

إن هذه الكلمة التي قالها الخليفة الراشدي العظيم ت تكشف لنا عما شعر به من حزن وألم من هذا السؤال وأمثاله. كما تكشف لنا عن الاستشرافات المستقبلية التى تَوَقع الإمام علي أن تكون عليها أحوال الأمة في مستقبل أيامها بعد العصر الراشدي. ثم بسط الإمام الأمر لسائليه تعليما للأمة ولمحبِّيه وأتباعه الذين سيتاجرون باسمه وباسم الولاء لآل البيت؛ فقال لهم ولجميع المسلمين:

عندما لحق رسول الله خ بالرفيق الأعلى تولى أبو بكر ت أمر الأمة، فيسَّر وسدَّد وقارب واقتصر، فصحبته مناصحا، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا. فلما احتُضر بعث إلى عمر ت فولاه فسمعنا وأطعنا، وبايعنا وناصحنا، فتولى تلك الأمور؛ فكان مرضيَّ السيرة ميمون النقيبة أيام حياته. ثم تولى عثمان فصبرتُ محتسبا، وبايعته ت..

وبهذا حسمت إجابة الخليفة الراشدي الرابع موقفه من الخلفاء الراشدين.

لقد كان منهج (الأخوة الإيمانية) التي وصلت إلى الذروة في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ماثلة في ذهن الإمام علي ت، وكان يرى أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على الأمة أن تبحث عن الوحدة الإسلامية والحب في الله والاعتصام بحبله؛ لأن هذه الأسس من أهم الركائز التي قامت عليها دولة الإسلام في المدينة، وفتح المسلمون بها تحت راية (التوحيد والوحدة) العالم.. لقد كانوا يؤمنون حقا بأن هذه الأمة (أمة واحدة) و(ربها واحد)، وأن عليها أن تجاهد مجتمعة لعبادته حق عبادته ولتقواه كما ينبغي!!

وقد قدم الإمام علي ت لنا تأصيلا رائعا لهذا المنهج، وذلك عندما سُئل عن أسوأ فرقة عرفها التاريخ الإسلامي، وهي فرقة الخوارج الذين كان أصحابها يكفرونه ويطالبونه بالتوبة! ثم انتهى بهم الأمر إلى قتله شهيدا ت..

ومع ما يعرفه الإمام علي عن مبادئهم وأحقادهم أجاب على سائليه عن رأيه فيهم فقال لهم:

إن لهم علينا ثلاثة حقوق: ألا نمنعهم مساجد الله،

ولا نقطع عنهم الفيء، ولا نبدأهم بقتال.

ولئن كان الإمام علي قد اضطر لمحاربتهم بعد خروجهم عليه وقتلهم بعض أصحابه؛ فإنه قد نهى عن قتالهم في المستقبل، وقال: **لا تقاتلوا الخوارج بعدي؛ فإنه ليس مَن طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه.**

وعندما سُئل عن (أهل الجمل) الذين جاءوا لحربه: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا!! قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا..

وعندما سمع بعض أصحابه في (صفين) يسب أهل الشام، قال: **إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين.**

وما كانت قولة الإمام علي التي بدأنا بها، وذكرنا أنها تستحق أن تكتب بماء الذهب: **وقد تفرغتم لهذا؟!** إلا إشادة بعصر الرسالة والراشدين الذي ما تفرغ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

للخلافات.. ولا للصراعات الصغيرة؛ مذهبية أو عنصرية.. على الرغم من مؤامرات شياطين الإنس المحيطين بهم من اليهود والمنافقين أتباع عبد الله بن أبي بن سلول، ثم المرتدين في عهد أبى بكر ت..

فلقد انتصر المسلمون على كل محاولات التمزيق.. وقدّموا أعظم تجربة (توحيد وحدة) وصلت إليها الإنسانية.. وهزموا أكبر القوى، وقضوا على أكبر امبراطوريتين في عصرهم.. وساحوا في الأرض ينشرون الإسلام في جميع الأمصار. ولكن- بُعَيد ذلك بقليل، ومنذ قال الإمام علي هذه الجملة الرائعة: **وقد تفرغتم لهذا؟!** بدأت طوائف متصارعة كثيرة تظهر في المجتمع الإسلامي.. فظهر الخوارج كقوى كبيرة منتشرة تكفِّر المسلمين؛ حتى أفاضل الأمة. وقد تشتتوا إلى طوائف متعددة تنقسم على نفسها، وقد يقاتل بعضها بعضا.. كما أن التشيع لآل البيت امتد بعد وفاة الإمام علي -الذي كان يقاوم نزعاتهم المتطرفة-، وأصبح فرقا زادت على أكثر من خمس وثلاثين فرقة.. وكانوا -هم والخوارج مع اختلاف الشعارات- يرفضون كل محاولات (التوحيد والوحدة) في ضوء كتاب الله وسنة رسوله خ وفي ظل تجربة الراشدين الرائعة..

وظهر -مع هؤلاء وأولئك- أفكار واجتهادات علاقتها بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح مقطوعة أو شبه مقطوعة!! ومع أن الخلافة الأموية (41-132هـ) وقفت بالمرصاد لهؤلاء وأولئك، وهزمتهم في مجال الخروج على الدولة واستعمالهم السيوف، إلا أنهم -مع ذلك- بددوا كثيرا من جهود المسلمين وأوقاتهم وثرواتهم.. وبينما كانت جيوش المخلصين تمضي في العصر الأموي بقيادة التابعين وأتباع التابعين لفتح العالم، وتتم ما بدأه الراشدون، حتى وصلت فتوحات الأمويين إلى حدود الصين بقيادة قتيبة بن مسلم، وإلى أدغال الهند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، وإلى أقصى الحدود الطبيعية في أسبانيا (بعد فتح بلاد المغرب التى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استعصت على الفتح قبل الأمويين) فوصل المسلمون في أسبانيا إلى جبال البرانس (البرتات) بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير والقادة الذين خلفوهما.. فبينما كان هذا يدور -تحت الراية الإسلامية الجهادية في العصر الأموي- **كان المحسوبون على تيار الخوارج، والمحسوبون على التشيع لآل البيت؛ ينفقون كل جهودهم في تفجير المجتمع الإسلامي من داخله: سياسيا وعسكريا وكذلك فكريا؛ من خلال النظريات التي اخترعوها وروجوا لها؛ والقرآن والسنة منها براء.**

ومع نهاية العصر الأموي وظهور العصر العباسي؛ عصر الانفتاح والترجمة والتيارات الفكرية المتأثرة بالفلسفتين: اليونانية (الأسطورية) والفارسية (الوثنية)؛ زادت مساحة الاختلاف.. وكان لهذا الاختلاف -كمنهج- تأثيره على العلوم الإسلامية الأصيلة التي كان ينبغي أن تستقي من المصدرين الثابتين؛ وهما القرآن والسنة، ومنهما تبني مذاهبها وفلسفتها ومنهجها في اختراع النظريات والأفكار التي قد تفرض طبيعة العصر وتطوراتها استلهامها من الكتاب والسنة، لتكييف الواقع وصياغة الحياة والأفكار صياغة إسلامية..

وفي هذا السياق ظهر (علم الكلام).. فسرعان ما غلب عليه الجدل والمنطق الصوري بعد سيطرة تيار المعتزلة عليه.. ومع أنه لا يُنكر فضل بعض المعتزلة في الدفاع عن الإسلام ضد مقولات الزنادقة.. لكن التيار الاعتزالي العام عمَّق الخلافات وأدخل الأمة في متاهات.. وظهر الأشاعرة ليقوِّموا اعوجاجه فأصابوا كثيرا، وأخطأوا قليلا.. وكان لأهل السنة دورهم الأعظم في مقاومة هذه الانحرافات الفكرية التي لا تنسجم مع طبيعة الإسلام القائمة على الفطرة والوضوح وفقه الكون، وفقه السنة بعيدا عن الجنوح، مع الالتزام بالقرآن بعيدا عن الشطط والتأويل. **[من مقال: وقد تفرغتم لهذا؟! د. عبد الحليم عويس]**

This file was downloaded from QuranicThought.com

تنبيه:

قال القرطبي: لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل. وهم كلهم لنا أئمة. وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر؛ لحرمة الصحبة ولنهي النبي **خ** عن سبهم، وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم. هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي **خ** أن "**طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض**".[1] فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانا لم يكن بالقتل فيه شهيدا، وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل وتقصيرا في الواجب عليه؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة.

فوجب حمل أمرهم على ما بيناه. ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من إخبار علي **ت** بأن قاتل الزبير في النار، وقوله: سمعت رسول الله **خ** يقول: "**بشر قاتل ابن صفية بالنار**". وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي **خ** في طلحة شهيد، ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار.

وكذلك من قعد غير مخطئ في التأويل، بل صواب أراهم الله الاجتهاد. وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم وعظيم غنائهم في الدين؛ رضي الله عنهم.

وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أريقت فيما بينهم فقال: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [البقرة:134]

وسئل بعضهم عنها أيضا فقال: تلك دماء قد طهر الله منها يدي فلا أخضب بها لساني. يعني في التحرز من الوقوع في خطأ والحكم على بعضهم بما لا يكون

[1] صححه الألباني في صحيح الجامع

This file was downloaded from QuranicThought.com

مصيبا فيه.

قال ابن فورك: ومن أصحابنا من قال: إن سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف؛ ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة. فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

وقال المحاسبي: فأما الدماء فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم، وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد خ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن. ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل؛ إذ كانوا غير متهمين في الدين. [الجامع لأحكام القرآن]

ويقول د. محمد الدويش: [**يجب أن نفرق بين الخلاف في الرأي واختلاف القلوب**. فلا بد أن يحصل الخلاف في الرأي وتتعدد الاجتهادات، لكن من واجب المسلم أن يحذر من أن يؤدي ذلك إلى اختلاف القلوب. وقد حذر النبي خ أصحابه من ذلك؛ فعن ابن مسعود ت قال: سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت النبي خ يقرأ خلافها، فجئت به النبي خ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: "**كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن مَن كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**". [رواه البخاري]

وقد نقل الحافظ في الفتح عن القرطبي قوله: "مَن تَأَمَّل ما دار بين أبي بكر وعليٍّ من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإنْ كان الطبع البشري قد يغلب أحيانًا، لكن الديانة تَرُدُّ ذلك. والله الموفق".

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد خالف ابن مسعود عمر بن الخطاب في مسائل بلغت المائة –كما ذكر ابن القيم في إعلام الموقعين– ومع ذلك فحين أتى ابن مسعود اثنان أحدهما قرأ على عمر، والآخر قرأ على غيره، فقال الذي قرأ على عمر: أقرأنيها عمر بن الخطاب، فجهش ابن مسعود بالبكاء حتى بلَّ الحصى بدموعه، وقال: اقرأ كما أقرأك عمر؛ فإنه كان للإسلام حصنا حصينا، يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه، فلما أُصيب عمر انثلم الحصن. وقال عمر عن ابن مسعود قولته المشهورة: "كُنَيْف[1] مُلِئَ علما".

إنها النفوس التي صفت وتسامت على حظوظها، فلم يجد الهوى بينهم مكانا، وحين يحصل بينهم ما يحصل بين البشر لا يمنعهم ذلك من العدل، ولا يقودهم إلى تتبع الزلات وملاحقة العثرات.

عن النعمان بن بشير ت قال: قال رسول الله خ: **"التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، ومَن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومَن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة بركة والفرقة عذاب".** [أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان]

وقال ابن مسعود ت: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة.

ويطمع بعض الغيورين والحريصين على وحدة الكلمة في قطع دابر الاختلاف والفرقة؛ لكنهم يتطلعون إلى نفي الخلاف في الرأي، ويسعون إلى الاتفاق على ما لا يمكن الاتفاق عليه!

---

[1] الكَنْف وعاء طويل يكون فيه متاع التجار وأسقاطهم، و"كُنَيْف ملئ علمًا" أي أنه وعاء للعلم؛ فقلب ابن مسعود قد جُمِع فيه كل ما يحتاج إليه الناس من العلوم. وتصغيره على جهة المدح له، وهو تصغير تعظيم لـ"كَنْف". [لسان العرب]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وإذا كنا نريد وحدة الصف وجمع الكلمة؛ فلا بد من استيعاب تعدد الآراء والاجتهادات –فيما يسع فيه ذلك– بل لا بد أن نتجاوز ذلك إلى استيعاب تعدد المدارس الفكرية كما تعددت المدارس الفقهية، ولا يمكن أن يكون الناس نسخة واحدة.

وبدلاً من السعي لتذويب ما لا يمكن تذويبه من الفوارق؛ ينبغي أن يتركز الأمر على استجلاء الثوابت، وضبط الاجتهادات وتسديد المسيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية /: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء:59]. وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين".][1]

فيا عباد الله..

إنْ لم تَقُمْ أمةٌ صَفًّا يُرَصُّ وعَزمًا
الإسلامِ واحدةً ليس ينكسرُ
فليسَ يُرْجَى لنا وكلُّ ما قد نَرَى من
نَصْرٌ نُعَزُّ بهِ زُخرُفٍ خَدَرُ *

% % %

وكونوا عباد الله إخوانا:

إذا كانت الفرقة هي طريق الانحطاط، فإن الوحدة هي سبيل الارتقاء وتبوؤ المكانة الفاضلة من جديد.

إن اتحاد الأمة الإسلامية على أسس من ديننا العظيم أمل كل المسلمين

---

[1] وحدة الصف ضرورة: د. محمد الدويش (بتصرف واختصار)

* من قصيدة "فأيقظ إذن أنفسا": د. عدنان النحوي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الصادقين في كل مكان، ذلك أن الإسلام هو الذي جعل من العرب المتناحرين إخوة في دين الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]. كما أن الإسلام بعقيدته الصحيحة وعبادته الصادقة وأخلاقه الرفيعة؛ صهر الأمم والشعوب والحضارات التي دخلت فيه، وجعل منهم أمة واحدة مترابطة ترابط الجسد الواحد، لا فرق بين الفارسي ولا البربري، ولا الرومي ولا العربي إلا بالتقوى.

وأصبحت أمة الإسلام أمة واحدة في عقيدتها وتصوراتها ومنهجها، وانعكس ذلك في توادهم وتراحمهم فيما بينهم وأصبحوا كالجسد الواحد، الذي يخفق فيه قلب واحد، وتسري فيه روح واحدة، ويتأثر كل عضو فيه بما يصيب بقية الأعضاء، أو هو كالجدار المتين الذي تجتمع لبناته لتشكل فيما بينها وحدة واحدة متماسكة متراصة.

عن عمر بن الخطاب ت قال: قال النبي خ: **"إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى". قالوا: يا رسول الله! تخبرنا من هم؟ قال: "هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس". وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [يونس:62][1]

ويقول خ: **"إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غُفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحر".** [رواه الطبراني]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ت قال: قال رسول الله خ: **"لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا". وفي**

[1] رواه أبو داود، وصححه الألباني لغيره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رواية: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى هاهنا –ويشير إلى صدره ثلاث مرات– بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" [لفظ مسلم].

وتتوارد أقوال الرسول خ تترى في هذا الباب، وتشهد أعماله بأصالة هذا العنصر في رسالته خ، كما تشهد الأمة التي بناها على الحب أنها لم تكن مجرد كلمات مجنحة، ولا مجرد أعمال مثالية فردية؛ إنما كانت واقعا شامخا قام على هذا الأساس الثابت بإذن الله، الذي لا يقدر على تأليف القلوب هكذا سواه.

[وإذا ألقينا نظرة على المجتمع العالمي قبل مجيء الإسلام ثم نظرنا إليه بعد مجيء الإسلام نجد الفرق واضحا بين العصرين. فالعالَم في الجاهلية كان مفرقا إلى دول وقبائل، فبدأ النبي خ بالإسلام يجمع الأمة العربية أولا نظرا إلى أنها هي المحيطة بالدعوة، وقد نزل القرآن بلغتها وبُعث الرسول منها؛ فجمع بين المؤمنين من أهل مكة أولاً على الرابطة الإسلامية، وأزال الفوارق العِرقية التي كان العرب يفتخرون بها.. فكان بلال الحبشي وصهيب الرومي مع سائر المؤمنين من قريش وغيرهم من العرب، وجمع الله بالإسلام بين الأوس والخزرج، وزالت عنهم العصبية الممقوتة التي سببت بينهم الحروب الطاحنة؛ وقد جاء الإسلام وانتشر بينهم ولم تندمل جراح معركة "بُعاث" التي هي آخر المعارك بينهم؛ فأصبحوا بالإسلام إخوانا وسُمُّوا بعد تآلفهم ونصرتهم جميعا لرسول الله خ بـ(الأنصار)..

وهذه الوحدة بينهم خطوة عظيمة ماكانوا يحلمون بها من قبل، ولكنها تحققت بمجرد انتشار الإسلام بينهم؛ فأصبحوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مع المهاجرين يكوِّنون أول مجتمع إسلامي.

ثم بعد ذلك أصبحت قبائل العرب تدخل في الإسلام شيئًا فشيئًا، وبمجرد دخولها في الإسلام تزول منها العصبية القبلية وتحل محلها العصبية الدينية؛ فتبغض الكفار وإن كانوا من أفراد قبيلتها، وتحب المؤمنين وإن كانوا من أفراد القبيلة التي كانت من قبل تحاربها!

فاجتمعت على هذا المبدأ قبائل العرب كلها واتحدت أهدافهم. وبالتالي اتحد منهاجهم في العمل؛ فأصبح الجيش الإسلامي مكوَّنا من تلك القبائل التي كانت قبل سنوات قليلة لا تتقابل إلا وفي أيديها السلاح الذي تتقاتل به في الميدان! فتحققت باتفاق العرب معجزة ماكان باستطاعة أحد من البشر أن يحققها؛ لأن العرب أمة لاتعرف في حياتها التبعية والانقياد، وقد بلغت بها العصبية القبلية حدا أذهب قوتها ومركزها بين الأمم؛ مع أنها تملك رصيدا ضخما من الشجاعة والخشونة والسخاء.. وهذه من مؤهلات القوة التي لاتملكها الأمم الأخرى التي أترفتها حياة المدن فأصبحت تحب الدعة والسكون. ولكن ذلك الرصيد الضخم من مؤهلات القوة لم يكن مصروفا في وجهه المشروع؛ فجاء الإسلام ووحد بين تلك القبائل حتى أصبحت أمة واحدة تسير وراء هدف واحد، ولكنه لم يَكْبِت في هذه الأمة المتوثبة ذلك الرصيد الضخم من مؤهلات القوة؛ بل صرفه في فترة وجيزة إلى مجاله المشروع بعد أن نمَّى ذلك الرصيد وخطى به خطوات بعيدة.

فبعد أن كان العربي يعتز بالشجاعة ليبني لنفسه مجدا في هذه الحياة جاء الإسلام فمحى من فكره هذه النظرة القريبة، وألغى كل نظرة إلى الحياة الدنيا على أنها هي الهدف، وأبدل ذلك بالنظرة إلى الآخرة.. وهذه النظرة كما أن لها نتائجها المؤثرة بالنسبة لمستقبل الأفراد في الحياة الآخرة؛ فإن لها نتائجها المؤثرة بالنسبة لزيادة الإنتاج من العمل في الحياة الدنيا.. فالمحارب أو العامل الذي يعمل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ليكتسب الشهرة والمجد في هذه الحياة الدنيا لا يمكن أن يعمل إلا في الوقت الذي يراه فيه الناس؛ لأنه إنما ينتظر المكافأة المعنوية من قِبَلهم، وبالتالي تفوت فُرَص كبيرة كان بالإمكان أن ينتج فيها؛ في الوقت الذي لايطلع على عمله أحد ممن ينتظر منه الثناء عليه ونقل محامده.

أما العامل الذي ينتظر الثواب في الآخرة فلا يبالي رآه الناس أو لم يروه؛ لأن مكافأته على عمله ليست من قِبَلهم وإنما هي من قِبَل الله عز وجل؛ والله مطلع عليه في جميع الأوقات.

أصبح العرب بعد مجئ الإسلام يحملون هذه النظرة السامية أخذًا من توجيهات النبي الكريم خ كما روى مسلم عن أبي موسى ت قال: سئل رسول الله خ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء.. أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال خ: **"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"**.

فباجتماع العرب تحت راية الأخوة الإسلامية تحققت لهم نعمة عظيمة لا تقدر بثمن، ولقد ذكَّرهم الله سبحانه بهذه النعمة حيث يقول: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾** [آل عمران:103] وإنها لنعمة جديرة بالاهتمام والتذكير والرعاية.

لقد رفع القرآن من ذكر العرب بين الأمم بعد ماكانوا أمة محتقرة منزوية وراء الصحراء؛ فجعلهم هداة الأمم وقادة العالم. ولقد امتن الله سبحانه وتعالى على العرب بهذه المنة العظيمة كما قال تعالى: **﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** [الأنبياء:10]، وكما في قوله: **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾** [المؤمنون:71] والذكر هو الشرف كما قال ابن عباس ب. فليس للعرب عز ولا ذكر إلا بهذا القرآن الكريم متى اعتصموا به ونشروه بين الأمم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومن هذا تبين لنا أن الإخاء أمكن إيجاده عن طريق الإسلام بين أمة صعبة المراس متشبثة بعاداتها وتقاليدها القديمة، وعن طريق هذه الأمة الفتية التي صنعها الإسلام من جديد انتشر الإخاء العالمي بين الأمم بانتشار الإسلام فأصبح العالَم لأول مرة في التاريخ يجد مجتمعا عالميا؛ يعيش فيه العربي إلى جانب الفارسي والرومي والحبشي وغير ذلك من مختلف الأجناس، ويعملون جميعا لهدف واحد. وزالت العصبية الجاهلية التي فرقت بين الأمم ومزقت الشعوب.][1]

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر:9]

(**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**) أي: دار الهجرة، أي: توطنوها (**وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ**) أي: من قبل مجيء المهاجرين إليهم. وعطف (الإيمان) قيل: بتقدير عامل. أي: وأخلصوا الإيمان. وقيل: استعمل التبوء في لازم معناه، وهو اللزوم والتمكّن. والمعنى: لزموا الدار والإيمان. فقد تبوأوا فيها الإيمان، وكأنه منزل لهم ودار. وهو تعبير ذو ظلال. وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان.. لقد كان دارَهم ونُزُلَهم ووطنَهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار.

(**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**) أي: لوجود الجنسية في الصفاء، والموافقة في الدين والإخاء. قال الشهاب: المراد بمحبتهم المهاجرين هنا مواساتهم، وعدم الاستثقال والتبرم منهم إذا احتاجوا إليهم، فالمحبة كناية عما ذكر، كما قيل:

---

[1] الأخوة الإسلامية هي الرابطة العالمية: د.عبد العزيز الحميدي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يا أخي واللبيبُ إن خان دهرٌ يستبينُ العدوَّ ممن يحبُّ

وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين. وشأن القبائل أن يتحرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم. وقد أحبوا مَن هاجر إليهم لمحبتهم لله ولرسوله؛ فأحبوا أحبابه، وأحبوا مَن نصر دينه.

ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم. وبهذا البذل السخي. وبهذه المشاركة الرضية. وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء. حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة؛ لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين!

ومن آثار هذه المحبة ما ثبت في الصحيح من خبر سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف؛ إذ عرض سعد عليه أن يقاسمه ماله، وأن يَنزل له عن إحدى زوجتيه.. وقد أسكنوا المهاجرين معهم في بيوتهم ومنحوهم من نخيلهم.. وحسبك الأخوة التي آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

(**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ**) أي: في أنفسهم (**حَاجَةً**) أي: طلبا أو حسدا (**مِّمَّا أُوتُوا**) أي: مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره؛ لسلامة قلوبهم، وطهارتها عن دواعي الحرص. قال الحسن: أي حسدا وحرارة وغيظا مما أوتي المهاجرون من دونهم. وأطلق لفظ (الحاجة) على الحسد والغيظ والحرارة؛ لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة.

والحاجة يصح وقوعها في الصدور لأنها من الوجدانيات والانفعالات. ومعنى نفي وجدان الاحتياج في صدورهم؛ أنهم لفرط حبهم للمهاجرين صاروا لا يخامر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نفوسهم أنهم مفتقرون إلى شيء مما يُؤتاه المهاجرون. أي: فهم أغنياء عما يؤتاه المهاجرون؛ فلا تستشرف نفوسهم إلى شيء مما يؤتاه المهاجرون بَلْهَ أن يتطلبوه.

ويدل ذلك على أن المهاجرين أفضل من الأنصار؛ لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا. فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم؛ ولأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة.

(وَيُـؤْثِرُونَ عَلَـى أَنفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِهِـمْ خَصَاصَـةٌ) أي: حاجة وفاقة. قال القاشاني: لتجردهم وتوجههم إلى جناب القدس، وترفعهم عن مواد الرجس، وكون الفضيلة لهم أمرا ذاتيا، باقتضاء الفطرة، وفرط محبة الإخوان بالحقيقة والأعوان في الطريقة. فتقديمهم أصحابهم على أنفسهم لمكان الفتوة، وكمال المروة، ولقوة التوحيد، والاحتراز عن حظ النفس.

ومن إيثارهم المهاجرين ما روي في الصحيح أن النبي **خ** دعا الأنصار ليقطع لهم قطائع بنخل البحرين، فقالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها.

وأما إيثار الواحد منهم على غيره، فعن أبي هريرة **ت** قال: أتى رجل رسولَ الله **خ** فقال: يا رسول الله! أصابني الجهد. فأرسل **خ** في نسائه فلم يجد عندهن شيئا. فقال النبي **خ**: "ألاَ رجل يُضيف هذا الليلةَ رحمه الله". فقام رجل من الأنصار (هو أبو طلحة) فقال: أنا يا رسول الله! فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله **خ** لا تدَّخريه شيئا. فقالت: والله ما عندي إلا قُوتُ الصِّبية. قال: فإذا أراد الصبية العَشاء فنوِّميهم وتعالَي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة. فإذا دخل الضيف فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج تُري أنكِ تصلحينه فأطفئيه وأَرِيه أنَّا نأكل. فقعدوا وأكل الضيف. [رواه البخاري]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وذكر الفخر الرازي في تفسيره عن ابن عباس أن النبي خ قال للأنصار: "إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم وقسمتُ لكم من الغنيمة كما قسمتُ لهم. وإن شئتم كان لهم الغنيمة ولكم دياركم وأموالكم". فقالوا: لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا، ولا نشاركهم في الغنيمة. فأنزل الله تعالى: (**وَيُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**) فبين أن هذا الإيثار ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وخصاصة وهي الفقر. وأصلها من الخَصاص وهي الفُرَج، وكل خرق في منخل أو باب أو سحاب أو برقع فهي خصاص، الواحد خصاصة. وذكر المفسرون أنواعا من إيثار الأنصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف، ثم ذكروا أن الآية نزلت في ذلك الإيثار، والصحيح أنها نزلت بسبب إيثارهم المهاجرين بالفيء، ثم لا يمتنع أن يدخل فيها سائر الإيثارات. ا.هـ

تنبيه:

قال ابن كثير: هذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى: **↓وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً↑** [الإنسان:**8**]، وقوله: **↓وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ↑** [البقرة:**177**]، فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به. وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه. ومن هذا المقام تَصَدق الصديق ت بجميع ماله، فقال له رسول الله خ: "ما أبقيت لأهلك؟" فقال ت: أبقيت لهم الله ورسوله! وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فردّه الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم. رضي الله عنهم وأرضاهم.][1]

[1] محاسن التأويل – في ظلال القرآن – التحرير والتنوير – مفاتيح الغيب – تيسير الكريم الرحمن

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيا عباد الله..

تبصروا أمرَكم.. أحيو أرومتَكم..[2]
إلى منابتِكم يا أهلَنا عودوا
إنَّ العناقيدَ تأتيها نَضارتُها مِن
جِذرِها وهو في الأعماقِ مشدودُ

%%%

فلول الغرب أضحت أمة!

أدرك أعداء الأمة أن الوحدة من أهم أسباب تحقيق النصر؛ ولذلك حرصوا على تحقيقها لشعوبهم. ووضعوا نصب أعينهم هدفا لا يتوانون عن تحقيقه؛ وهو العمل على زرع الفتن بين المسلمين لتمزيقهم كل ممزق ولإضعاف قوتهم وذهاب ريحهم..

ورغم اختلاف الليل والنهار فإن تاريخهم القديم والحديث يشهد على سعيهم الدءوب لنشر أحقادهم التي تتقاطر سُما زُعافا.. ففي الحروب الصليبية الأولى وقف البابا "أوربان الثاني" في مجمع كلير مونت بفرنسا يطلقها حربا دينية؛ وقد ألبسها شارة الصليب يوم 15 نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1095م.. يقول في خطبته:

"اتحدوا.. ولتكن رماحكم وسيوفكم صوب أعدائكم الكفرة المسلمين الذين اغتصبوا ديار السيد المسيح في فلسطين".

ولقد دأب قادة الفرنجة على توظيف الخلافات والنزاعات بين حكام وأمراء المنطقة في حسابهم، وقد أوقدوا الفتنة وأججوها بينهم بشكل كانت تبدو فيه حملات الفرنجة في معظمها مرغوبة، بل ومطلوبة من الحكام المتخاصمين للاستنجاد بالفرنجة على بعضهم البعض!!

فعندما حاصر الفرنجة أسوار أنطاكية في حملتهم الأولى عام 1097م تمَّ تحييد كلا الشقيقين: رضوان بن تتش حاكم حلب، ودقَّاق بن تتش حاكم دمشق

[2] الأرومة: الأصل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

دون أن يهب أحدٌ منهم لنجدة أنطاكية بسبب انشغالهما في خصومة ونزاع على السلطة؛ وكأنهم في مأمن من الفرنجة!

والوزير شاور في مصر استنجد على خصمه ضرغام لدى الخليفة الفاطمي العاضد بعموري الأول حاكم مملكة بيت المقدس عام 1166م، ثم أبرم معه اتفاقية حماية، لحماية مصر من جيوش نور الدين زنكي في الشام!

والكامل الذي خلف والده العادل في مصر، استنجد بإمبراطور ألمانيا فريدريك الثاني على رأس حملة عرفت بالحملة السادسة عام 1228م، على أخيه عيسى بدمشق، وأدَّت الحملة إلى قيام الكامل بتسليم القدس التي سبق وحررها عمه صلاح الدين الأيوبي عام 1187م إثر حطين؛ بتسليمها إلى فريدريك الثاني دون قتال باتفاقية خيانة وحماية!

ومثل ذلك يتكرر بتمامه بين حكام وزعماء المنطقة العربية اليوم الذين يجدون في الفرنجة الجُدد حاميا، وفي شقيقهم العربي عاديا! بشكل تظهر فيه قوات الاحتلال الغازية الأمريكية البريطانية أو المتعددة الجنسيات وكأنها هبت (لدوافع إنسانية)! أو من أجل الوفاء بالتزاماتها الدولية لنجدة هذا البلد أو ذاك، أو لتحرير هذا البلد أو ذاك..!! وأنها قوات (تحرير) يتوجب (حسن استضافتها).. بل (عدم مغادرتها)، بل الإتيان بمثلها على بلد آخر لحمايته من بلد آخر!!

وقد وجد الفرنجة (الجُدد) لدى العرب وحكامهم في العصر الحديث (منجما)، بل (مناجم) من الشروط والبيئة الخصبة لمؤامراتهم وحروبهم، وهم يتقنون كيف يتسللون من مساربها إلى مآربهم بخبث ومهارة.. وقديما قالوا: ما من أمةٍ هُزِمت من الخارج.. بل كل الهزيمة تبدأ من الداخل![1]

[1] ما بين الفرنجة والفرنجة الجدد: مقال لعبد الوهاب زيتون – موقع التاريخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهاكم وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس؛ تشهد على لويس التاسع ملك فرنسا[2] بما خطط له بقوله:

إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي:

- **إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في إضعاف المسلمين.**
- **عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.**
- **إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء؛ حتى تنفصل القاعدة عن القمة.**
- **الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يضحي في سبيل مبادئه.**
- **العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة.**
- **العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوبا،**

وأنطاكية شمالا، ثم تتجه شرقا، وتمتد حتى تصل إلى الغرب.

---

[2] قائد الحملة الصليبية عام **1249**م، بزعم تحرير بيت المقدس من أيدي سلاطين مصر. كانت وجهته الأولى دمياط، إلا أنه هُزم ثم أُسر في أولى مواجهاته في المنصورة عام **1250**م. افتدى نفسه من الأسر، ثم استقر في الشام لمدة أربع سنوات **1250–1254**م، ليعود بعدها إلى فرنسا. وفي عام **1270**م قاد الحملة الصليبية الثامنة وأبحر نحو تونس آملا في حمل سلطانها (الحفصي) على اعتناق النصرانية، ومن ثَم الانطلاق نحو مصر التي كانت مفتاحه في استرجاع بيت المقدس! ولكنه توفي بالطاعون بمجرد أن وطئت قدماه البلاد. [الموسوعة الحرة]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأقول شمس الإسلام في الأندلس شاهد آخر على الجهود التي بذلها أعداء الأمة لإحداث الفرقة بيننا.. فلم تكن قصة خروجنا من الأندلس قصة عدو قوي انتصر علينا بقدر ما كانت قصة هزيمتنا أمام أنفسنا.. قصة ضياعنا وأكلنا بعضنا بعضا كما تأكل الحيوانات بعضها بعضا.

لقد ظهر في الأندلس أكثر من عشرين دولة يتقاسمها الأندلسيون والبربر والعرب والصقالبة! ففي كل مدينة دولة، بل ربما اقتسم المدينة أكثر من طامع ومنافس!

واستمر أمر هذه الدول، أو هذه المدن المتنافسة التي عُرف حكامها بـ(ملوك الطوائف).. استمر أمرها أكثر من خمسين سنة.. امتُهن فيها الإسلام والمسلمون، وتوسل كل ملك منهم بالنصارى ضد إخوانه المسلمين، ووقف ابن حيان مؤرخ الأندلس يستشف ما وراء الحجب ويقول لأبناء جنسه:

يا أهلَ أندلسٍ فما المُقامُ
شدوا رواحلَكم بها إلا مِنَ
الثوب يُنسَلُ من الغلطِ
أطرافِهِ وأرى ثوبَ الجزيرةِ منسولا
مَن جاورَ الشرَّ لا مِنَ الوسطِ
يأمن بوائقَهُ كيف الحياةُ مع
الحياتِ في سَفَطِ [1]

وهذا "المعتمد بن عباد" حاكم بعض ولايات الأندلس؛ ذلكم الشجاعُ القويُ المترف، يستعينُ به حاكم ولاية مجاورة بعد أن غزاها أحدُ أعدائه، فيسرعُ "المعتمدُ" لنجدة ذلك الرجل، ويرجع ذلك الغازي مدحورًا لما رأى جيوش المعتمد. هنا انتهت مهمة "المعتمد"، لكنه في ظلام الليل يقوم ليبث جيوشه في المدينة حول قصر مَن استنجد به ويحتل المدينة.. وياله من مجير!

[1] السفط يشبه القُفَّة، وهو ما يُعبأ فيه الأشياء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمستجيرُ بعمروٍ عندَ كُربتِه
كالمستجيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بالنارِ!

أصيب ذلك الحاكم بصدمةٍ عنيفةٍ شُل منها، قُبضَ عليه وعلى والده، وأُخذت أمواله، وأُودِع السجن، وسُبيت زوجاتُه وبناتُه، ثم أُخرج من ولايته مهانًا ذليلاً، وقضى حياتَه في "أغمات" في بلاد المغرب أسيرًا حسيرًا كسيرًا، وبناتُه المترفاتُ اللاتي كن يُخلَطُ لهن التراب بالمسك ليمشينَ عليه؛ أصبحن حسيراتٍ يغزلنَ للناس الصوف، ما عندَهن ما يسترن به سوءاتهن..

إن هذه هي النتيجة الطبيعية لكل (ملوك طوائف) في كل عصر، فالذين يخشون الموت سيموتون قبل غيرهم، والذين يحسبون للفقر حسابه مضحين بكرامة دينهم ووجود أمتهم؛ سوف يصيبهم الفقر من حيث لا يشعرون.

وبعد سقوط الخلافة الإسلامية أمعن الغرب الأوروبي في تفتيت العالم الإسلامي وتجزئته، عن طريق إشعال الفتن والثورات الطائفية وتغذية النعرات المذهبية.. يقول "برنارد لويس" في كتابه "الشرق الأوسط والغرب":

(إن التغريب في المنطقة العربية أدى إلى تفكيكها وتجزئتها، وإن هذا التفكيك السياسي واكبه تفكيك اجتماعي وثقافي، والواقع أن إلحاق المنطقة بالغرب لم يكن ممكنًا إلا من طريق تفكيكها وتجزئتها عن طريق إثارة الفتن الطائفية، وافتعال أسباب الخصومات والعنف).

وبعد أن دار الزمان دورته، لا تزال [الأمة تواجه هجمة مركزة تدميرية لوجودها ومكوناتها، ونسفها من الوجود كأمة عظيمة موحدة مؤهلة للمساهمة في تحرير وإنهاض العالم بأسره..

فقد كان واضحا منذ الاحتلال الأمريكي للعراق 2003م والإجراءات المعروفة التي اتخذها "بريمر" الحاكم الأمريكي المطلق بعد الاحتلال، التي استهدفت إلغاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الدولة العراقية، ومن بينها (حل الجيش) والقوى الأمنية العراقية وكل وزارات وبُنَى الدولة باستثناء (وزارة النفط).. وإصدار ما يسمى "بقانون اجتثاث البعث" مرورا إلى "الدستور" المزيف التقسيمي (الذي صاغه اليهود الصهاينة في أمريكا) تحت شعارات (الفيدرالية) و(الكونفيدرالية)[1] و(الحكومات الطائفية).. التي تجسد تلك الأفكار التقسيمية، بميليشياتها القذرة التي تكونت مع (آل الحكيم) في إيران إبان النظام العراقي السابق (كجيش بدر–والقدس).. دون أن ننسى "الباشمركة الكردية" التي أصبحت جيشا منظما قويا في (كردستان العراق) يدربه الصهاينة والأمريكان!!

وهكذا.. كانت تلك الأطراف الطائفية العميلة، والعِرقية الحاقدة، تأخذ صيغها، وتثبت كياناتها، التي ستشكل (حصصها) الخاصة بعد تطبيق قرار (الكونفيدرالية) أي تقسيم العراق عمليا.. حتى أن (كردستان) العراق، ألغت علم الدولة العراقية ورفعت (علمها) الخاص، وأخذت تتصرف (كدولة مستقلة) بعد أن أخذت رئاسة الجمهورية العراقية بوضع (الطالباني) فيها، ووزارة الخارجية العراقية.. ووقعت خمسة عشر عقدا للمشاركة في إنتاج النفط مع عشرين شركة أجنبية بدون رأي أو موافقة (الحكومة العراقية)!! وتخطط لابتلاع "كركوك" الغنية بالنفط بتهجير سكانها العرب، وجلب الأكراد مكانهم. وهكذا..

---

[1] الفيدرالية شكل من أشكال الحكم تكون السلطات فيه مقسمة دستورياً بين حكومة مركزية ووحدات حكومية أصغر (الأقاليم–الولايات)، ويكون كلا المستويين المذكورين من الحكومة معتمد أحدهما على الآخر، وتتقاسمان السيادة في الدولة. أما ما يخص الأقاليم والولايات فهي تعتبر وحدات دستورية لكل منها نظامها الأساسي الذي يحدد سلطاتها التشريعية والتنفيذيه والقضائية. وأقرب الدول لتطبيق هذا المصطلح على المستوى العربي هي دولة الإمارات العربية المتحدة. أما على المستوى العالمي فهي دولة الولايات المتحدة الأمريكية. [الموسوعة الحرة]

تعرف الفيدرالية في الفقه السياسي على انها اتحاد مجموعة من الأقاليم أو الولايات الواقعة ضمن الحدود الجغرافية لدولة ما. أما الكونفيدرالية فهي اتحاد دولتين أو أكثر ضمن اتفاق مشترك تحدده معاهدة خاصة. ما يتمخض عن هذين التعريفين أنه في الأولى تتحد الوزارات التي تسمى سيادية من قبيل النفط والمالية والخارجية والدفاع والداخلية، أما في الثانية فتحتفظ كل دولة بسيادتها على أرضها ووزاراتها من دون الحاجة لانصهارها في بوتقة واحدة. [شبكة النبأ]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واستكمالا لتحضير مخطط التقسيم، وتغيير هوية العراق القومية العربية، جرى حسب المصادر الوطنية، تهجير حوالي أربعة ملايين عراقي (عربي) واستقدام عدد مماثل من أكراد إيران ومن الفرس.. وأعطيت لهم هويات وسجلات عراقية، في الوقت الذي تم إتلاف السجلات الرسمية السابقة بحيث يتم تغيير البنية العربية الأصيلة للعراق قلعة الأمة العربية المشرقية الأساسية.. ناهيكم عن قتل أكثر من مليون عراقي على الهوية ذاتها.. مع التركيز على تصفية علماء العراق..

ومع رصد وتتبع هذه الخطوات التقسيمية الخبيثة.. ما كان أحد يتوقع أن يتولى الكونجرس الأمريكي (شرعنة) التقسيم بقرار رسمي! الأمر الذي لم يعرفه تاريخ العالم والشعوب حتى الآن؛ ونحن في مطلع القرن الواحد والعشرين.. إذ هل تقبل أمريكا أو غيرها من الدول الأوروبية عامة أن يتولى (المجلس التشريعي) لأي دولة في العالم اتخاذ (قرار تقسيمها)؟!! ألا تقوم حرب عالمية طاحنة فورية لسحق هذه الدولة التي تجاوزت القانون الدولي، وتجرأت على المس بوحدة أمريكا أو أي دولة غربية أو التدخل بشئونها الداخلية بأي حال؟!

علما أن (الأمم المتحدة) المترهلة، و(مجلس الأمن) وما يسمى بـ(المجتمع الدولي) التابع لأمريكا بقي أخرس لم يعترض على ذلك القرار ويرفضه ويدينه رسميا، ويحاسب أمريكا عليه، كونه شكّل سابقة خطيرة تجتاح كل القوانين الدولية المعروفة..

والأنكى من ذلك، أن الأنظمة العربية العميلة، لم تحتجّ أيضا، ولم تعترض ولم ترفض!! لا من أجل العراق الشقيق، كجزء أساسي من الوطن العربي فحسب.. بل من أجل كياناتها (القُطرية) الحالية بالذات المعرضة للتفجير.. حيث يجب أن يدرك أي حاكم عربي أن دور قطره قادم لا محالة!!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ففي الوقت الذي تتلاحق فيه سيطرة القوى التقدمية المعادية لأمريكا على عدد من الدول الهامة في أمريكا اللاتينية.. يظل وطننا العربي المنكوب بحكامه الطغاة الفاسدين، وجماهيره المقموعة المغيبة، وأحزابه الوطنية المترهلة الممزقة الهزيلة.. نقطة الضعف الكبرى في العالم؛ الذي تطمح أمريكا، وامتدادها (إسرائيل) من خلال السيطرة عليه؛ التحكم في بقية دول العالم..] [1]

ويتحقق هذا التفكيك والتفتيت والتجزئة في العالم الإسلامي؛ في مقابل نزعة للوحدة والاندماج عند دول أوروبا؛ وحدة قائمة على التنسيق والتعاون، مبنية على نهضة علمية غير مسبوقة، مصحوبة بتطورات تكنولوجية هائلة، خاصة في المجال العسكري. ثم احتكار غير قابل للكسر في المجال النووي وعلوم الفضاء.. [2]

فقد [استطاعت البلدان الأوروبية التي لا يجمع بينها سوى الجوار أن تتوحد، وأن تتجاوز تاريخها الحافل بالحروب والمذابح والويلات والعنصرية والتعصب؛ لتصبح بما يشبه الأمة الواحدة ذات الرسالة الموحدة الخالدة، رسالة التطور والبناء والتقدم والارتقاء بالبلدان وبالعباد في القارة نحو الأفضل!

في ديسمبر من كل عام خلال بضع السنوات الأخيرة عودتنا أوروبا على القفز خطوة إلى الأمام، ففي هذه السنة وتحديدا يوم أمس[1] فتحت الحدود، وأزيلت الحواجز ونقاط المراقبة البحرية والبرية التي كانت تفصل بين شرق وغرب أوروبا، (شرقا الدول الاشتراكية سابقا، وغربا الدول الرأسمالية)، بين أعضاء اتفاقية (شنغن)

---

[1] مخطط "تقسيم العراق".. مقدمة خطيرة لمواصلة تجزئة وتفتيت الوطن العربي: د. إبراهيم ماخوس – شبكة البصرة

[2] واقع الأمة بعد سقوط الخلافة: مقال لهشام عبد الله – موقع لواء الشريعة.

[1] تاريخ كتابة المقال: **2007/12/21**

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأوروبية التي تكفل لمواطني الدول الأوروبية الموقعة عليها بحرية التنقل بدون جوازات السفر.

هكذا في ليلة القدر الأوروبية انطلقت المسيرات مع الألعاب النارية في مختلف المناطق المحاذية للحدود وعلى جوانبها الشاسعة التي تربط ألمانيا ببولندا، والتشيك والنمسا بالمجر وسلوفاكيا.

وبالرغم من موجة البرد والصقيع التي تجتاح المنطقة إلا أن آلاف الناس احتشدوا ليشهدوا بداية مرحلة جديدة من تاريخ أوروبا الحديثة.

هذا ورفعت الدول الاشتراكية السابقة التي دخلت الاتحاد الأوروبي عام 2004 وهي: إستونيا وليتوانيا والمجر وبولندا وسلوفاكيا وسلوفينيا وجمهورية التشيك رسميا المراقبة البرية والبحرية مع جيرانهم في الاتحاد الأوروبي؛ في حين ألغت جزيرة مالطا الإجراءات المتعلقة بالملاحة البحرية إلى المرافئ الأوروبية.

وبهذا سيتمكن مئات ملايين الأوروبيين من التنقل بالبطاقة الشخصية، وبدون نقاط ومراقبة وحدود وتفتيش. وبهذا تخطو أوروبا خطوة جديدة هامة نحو الوحدة.

هذا في أوروبا أما في بلاد العرب، حيث كل عوامل الوحدة متوفرة وقائمة من مئات السنين؛ فاللغة والتاريخ والاقتصاد والجغرافيا والنظام السياسي والعادات والتقاليد والتراث.. وكذلك وجود عدو واحد يهدد المصير المشترك والوجود العربي كله.. كل هذه الشروط المتوفرة بقوة لقيام الوحدة العربية لم تفلح في تحريك صخرة التفتت والتشتت والفرقة العربية..

هذه الشروط المتوفرة لدى العرب من المحيط إلى الخليج لا تتوفر عند كثير من الأمم والبلدان، ولكن وبالرغم من مجموعة الظروف الجاهزة لأية وحدة حقيقية على أرض الواقع إلا أن الوحدة بين بلاد العرب تبدو بعيدة المنال، ولن تتحقق في

This file was downloaded from QuranicThought.com

الوقت القريب، ولا في السنوات القريبة! على العكس من ذلك فإن المشهد العربي يزداد سوءا وسوداوية يوما بعد يوم، وإمكانيات الوحدة العربية تبتعد؛ فيما نقاط الالتقاء تزول، وأسس القيامة العربية تهدم بمعاول محلية غربية الصنع والمصدر![1]

فإذا الحليمُ من البليَّةِ حائرٌ ... يدعو.. ويمسحُ دمعَهُ المنسابا:
يا ليت أمي لم تلدني.. وليتني ... ياربُّ - قبلَ اليومِ- كنتُ ترابا
فالقدسُ ثكلى.. والخطبُ في الصومالِ ... والعراقُ أسيرةٌ عزَّ مصابا
وانظر فلولَ الغربِ أضحتْ أمةً ... وانظر الحزبُ أضحى عندنا أحزابا
(2)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية /: **وهذا التفريق الذي حصل من الأمة: علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها؛ هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها. وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [المائدة:14].

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب. [مجموع الفتاوى]

فيا عباد الله..

إن أشدّ القبائل تأخرا تدرك معنى الخطر الداهم عليها من جرَّاء اختلافها، وترى أبناءها ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدوّ

---

(1) أوروبا أمة موحدة ذات رسالة واحدة والعرب أمة مشتتة بلا رسالة: مقال لنضال حمد – مدير موقع الصفصاف الإخباري العربي النرويجي – نقلا عن موقع "التاريخ"

(2) من قصيدة "شكوى بين عامين" للمبدع/ صالح بن علي العمري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخارجي عليهم؛ حرصا على مصلحتهم الاجتماعية.. فكيف بالذين يقومون بخدمة الإسلام، ويدعون إليه؛ ومع ذلك لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة.. إن هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفجع، وخيانة للإسلام والمسلمين.. وهو أكبر داء ابتُلي به المسلمون في تاريخهم.. وليس للمسلمين من طريق لمواجهة الأعداء الألداء إلا ذلك السلاح البتَّار، والخندق الأمين، والقلعة الحصينة؛ قلعة: "إنما المؤمنون إخوة" [1]

% % %

تحقيق الوحدة بجهود صلاح الدين مقدمة للنصر المبين:

يذكر د. عبد الله ناصح علوان أنه منذ أن توفي السلطان نور الدين تهيأت للبطل صلاح الدين الفرص المواتية لتوحيد العالم الإسلامي تحت لوائه وإمرته. واستطاع بفضل مواهبه العسكرية وخبرته الحربية والسياسية أن يوحد البلاد الواحدة تلو الأخرى. فقد كانت الطوائف في اليمن تتصارع في عهد صلاح الدين، وتقتتل قتالا مريرا مما عرض الوحدة الإسلامية للتفكك والتمزق. فكانت (الحمدانية) في صنعاء، و(النجاحية) في زَبيد تتنازعان على الحكم، كما ظهر دعي كاذب زعم أنه المهدي المنتظر؛ فأحدث بعض القلاقل والاضطراب في بلاد اليمن، وانتشرت المذابح، وعمت الفوضى، وسادت الفتن.. وعز على صلاح الدين أن يرى الشعب المسلم يقتل بعضه بعضا، وتكيد الطائفة للطائفة الأخرى؛ فأرسل أخاه "توران شاه" إلى بلاد اليمن لتخليصها من هذه الفتن التي ضربت أطنابها، ودبت في طول البلاد وعرضها؛ ليضمها إلى مصر والشام تحت إمرة واحدة.

ويذكر بعض المؤرخين أن "توران شاه" بعدما وصل إلى اليمن، وتوغل في أرضها؛ فتح وحده ما يزيد عن ثمانين حصنا ومدينة. ويبدو أن اليمنيين ارتاحوا إلى

[1] من كلمات بديع الزمان النورسي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مجيئه لما كان يعانيه اليمن من الفوضى والاضطراب. بل كان اليمنيون أنفسهم يسهلون للقائد "توران شاه" أمر فتحها؛ فكان نواب القلاع يرسلون إليه مفاتيحها حقنا للدماء، ورغبة في الاستقرار. وما إن تم فتح اليمن حتى ولى صلاح الدين عليها أخاه "توران شاه" ثم أخاه "طغتكين بن أيوب".

وفي العام الذي تم فيه فتح اليمن استطاع صلاح الدين أن يفتح برقة وطرابلس، والجزء الشرقي من تونس الحالية إلى قابس. وكان ذلك عام 569هـ

وفي عام 579هـ استدعى صلاح الدين أخاه الملك العادل لحضور المؤتمر الإسلامي الذي عقده في دمشق لسفراء الأمراء المسلمين. وقد حاول صلاح الدين في هذا المؤتمر أن يقطع دابر الخلاف بين الأمراء المسلمين، وأن يحقق بينهم الأخوة والوئام.. وقد اجتمعت كلمتهم على الاتحاد.

ولم يشذ في هذا الاجتماع سوى مندوب الموصل؛ الذي دارت بينه وبين صلاح الدين مناقشات حادة لم تأتِ بالنتيجة المرجوة.

ولما لم يستجب صاحب الموصل إلى الانضواء تحت راية الأخوة الإسلامية؛ اضطر صلاح الدين أن يحمل السلاح لردع صاحب الموصل، ورده إلى الحق والرشد. وتقدمت جيوش صلاح الدين إلى الموصل فحاصرتها؛ فرضخ عز الدين صاحب الموصل، وتم الصلح بينه وبين صلاح الدين سنة 581هـ بمقتضى (معاهدة حران) على أن يسلم صاحب الموصل إلى صلاح الدين (شهرزور) وأعمالها، وولاية (القرابلي)، وجميع ما وراء نهر الزاب من أعمال ولاية (تفجاك). وأن يتخلى صلاح الدين عن الموصل؛ على أن تكون الخطبة والنقود باسم صلاح الدين، وأن يخضع عز الدين صاحب الموصل لسياسة صلاح الدين.

وقد استطاع صلاح الدين بعد (معاهدة حران) أن يحشد عساكر الموصل، وسنجار، والجزيرة، وأربل، وحران، وديار بكر، وغيرها.. تحت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لواء واحد بعدما كانت شيعا وأحزابا.

أصبحت البلاد التي وحدها صلاح الدين ممتدة الأطراف، واسعة الأرجاء. فقد كان سلطانه ينشر أجنحته على جهات كثيرة من الرملة إلى حوض النيل، ويمتد ظله فيعم سواحل أفريقية الشمالية حتى طرابلس، وأخضع بلاد اليمن وعدن، واستولى على سواحل طرابلس وتونس حتى مدينة (قابس)، وخطب له على المنابر في هذه الجهات كلها.

ولا شك أن الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها عقدت أملها الأكبر على البطل صلاح الدين، واستبشرت خيرا في تحقيق وحدة المسلمين على يديه. ولقد حان الانقضاض بعد هذه الوحدة المتراصة على دولة الصليبيين في القدس، وجعلها أثرا بعد عين في معركة حاسمة؛ لها في التاريخ دويّ، وفي الأجيال افتخار وإعجاب.

وقد رأى الشعراء أن في توحيد صلاح الدين للبلاد تحت حكمه صلاحا للبلاد، وعزا للإسلام؛ بعد أن شقيت هذه البلاد بحكام لا يصلحون لتدبير الملك، ولا لإدارة شئون الرعية. ورأوا في توحيد كلمة البلاد تمهيدا لفتح القدس وتحريرها من الصليبية الحاقدة.. [1]

يقول العماد الأصبهاني:

بفتوحِ عصرِك وبنورِ نصرِكَ
يفخرُ الإسلامُ تشرقُ الأيامُ
أسدى صلاحُ الدينِ بنوالِها سوقُ
والدنيا يدًا الرجاءِ تُقامُ
فتمَلَّ فتحَكَ واقصِد بحصولِهِ

[1] صلاح الدين الأيوبي: د. عبد الله ناصح علوان (بتصرف واختصار)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفتحَ الذي لفتوحِك
دُمْ للعلا حتى الإتمامُ
يدومَ نظامُها واسلَمْ يَعِزُّ
بنصرِكَ الإسلامُ

فـ[ما كان للعرب أن يهزموا الفرنجة ومعهم المغول والتتار في أكثر من موقع وملحمة؛ بدءا من سقوط إمارة الرُّها في أنطاكية عام 1144م على يد القائد الشهيد عماد الدين زنكي.. إلى حطين عام 1187م على يد صلاح الدين.. إلى عين جالوت لفارسها السلطان قطز عام 1260م.. إلى دحر الفرنجة تماما من آخر جيوبهم ومعاقلهم في المشرق الإسلامي على يد السلطان الأشرف خليل قلاوون عام 1293م.. إلاَّ بعد إعادة بناء البيت العربي؛ بناء الدولة من الداخل، ومد جسور الوحدة بين الأشقاء في مواجهة الخصوم والأعداء..

فصلاح الدين حقق الإنجاز العظيم في حطين بعد أن بنى صرح دولة قوية امتدت من العراق شرقا، إلى مشارف تونس غربا، إلى السودان ومنابع النيل جنوبا مع اليمن وشبه الجزيرة العربية..

وما كان لحرب أكتوبر عام 1973م أولى انتصارات العرب في العصر الحديث أن تحدث إلا بفعل العمل العربي المشترك والتضامن العربي؛ الذي فقدناه بعدها مباشرة!

وقديما قالوا: الحكيم من اتعظ بغيره، والأحمق من أصبح موعظةً لغيره.. فلنتعظ وليتعظوا من التاريخ وعبره!][1]

فيا عباد الله..

لاتيأسوا.. ليلُ الشقاءِ سينجلي،

[1] ما بين الفرنجة والفرنجة الجدد: مقال لعبد الوهاب زيتون – موقع التاريخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والفجرُ سوف يزفُّ صوتَ البلبلِ
وستحملُ الدنيا مشاعلَ نصرِنا
في كفِّها ، وتدُكُّ كلَّ مُضلِّلِ

اللهم أعد للمسلمين ائتلافهم، واجمعهم على محبتك ومحبة رسولك، وأزل ما بينهم من بغضاء وعداوة وأبدل بهما محبة وولاء؛ إنه لا يقدر على ذلك إلا أنت.. كما ألفت القلوب ابتداء؛ فأعدها بعزتك وحكمتك إنك سميع مجيب الدعاء.

سابعا:
تحقيق
الزهد وقصر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:20]

سبق هذه الآية تحريض على الصدقات والإنفاق، ثم أعقب هذا التحريض بالإشارة إلى دحض سبب الشح أنه الحرص على استبقاء المال لإنفاقه في لذائذ الحياة الدنيا، فضُرب لهم مثلُ الحياة الدنيا بحال محقَّرة على أنها زائلة تحقيرا لحاصلها وتزهيدا فيها؛ لأن التعلق بها يعوق عن الفلاح.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كل ذلك في سياق الحث على الإنفاق الواجب وغيره، وأشير إلى أنه ينبغي أن تتخذ الحياة وسيلة للنعيم الدائم في الآخرة، ووقاية من العذاب الشديد، وما عدا ذلك من أحوال الحياة فهو متاع قليل؛ ولذلك أعقب مثل الحياة الدنيا بالإخبار عن الآخرة بقوله: (**وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ**)

و(**أَنَّمَا**) لإفادة الحصر. وحصر الحياة الدنيا في الأخبار الجارية عليها هو قصر أحوال الناس في الحياة على هذه الأمور الستة باعتبار غالب الناس، وبالنظر إلى ما تنصرف إليه همم غالب الناس من شئون الحياة الدنيا، والتي إن سلم بعضهم من بعضها لا يخلو من ملابسة بعض آخر؛ إلا الذين عصمهم الله تعالى فجعل أعمالهم في الحياة كلها لوجه الله. وإلا فإن الحياة قد يكون فيها أعمال التُّقَى والمنافع والإحسان والتأييد للحق وتعليم الفضائل وتشريع القوانين.

وقد ذكر هنا من شئون الحياة ما هو الغالب على الناس، وما لا يخلو من مقارفة تضييع الغايات الشريفة أو اقتحام مساوئ ذميمة، وهي أصول أحوال المجتمع في الحياة، وهي أيضا أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سِن الطفولة والصبا، واللهو طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة.

وذكر هنا خمسة أشياء:

فاللعب: اسم لقول أو فعل يراد به المزح والهزل لتمضية الوقت أو إزالة وحشة الوحدة، أو السكون، أو السكوت، أو لجلب فرح ومسرة للنفس، أو يجلب مثل ذلك للحبيب، أو يجلب ضده للبغيض، كإعمال الأعضاء وتحريكها دفعا لوحشة السكون، والهذيان المقصود لدفع وحشة السكوت، ومنه العبث، وكالمزح مع المرأة لاجتلاب إقبالها ومع الطفل تحببا أو إرضاء له.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واللعب هو الغالب على أعمال الأطفال والصبيان؛ فطور الطفولة طور اللعب، ويتفاوت غيرهم في الإتيان منه؛ فيقل ويكثر بحسب تفاوت الناس في الأطوار الأولى من الإنسان وفي رجاحة العقول وضعفها. والإفراط فيه من غير أصحاب طوره يؤذن بخسة العقل، ولذلك قال قوم إبراهيم له: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء:55]. واللعب يكثر في أحوال الناس في الدنيا فهو جزء عظيم من أحوالها وحسبك أنه يَعمُر معظم أحوال الصبا.

واللهو: اسم لفعل أو قول يقصد منه التذاذ النفس به وصرفها عن ألم حاصل من تعب الجسد أو الحزن أو الكمد، يقال: لها عن الشيء، أي: تشاغل عنه. ويغلب اللهو على أحوال الشباب. فطور الشباب طوره، ويكثر اللهو في أحوال الدنيا من تطلب اللذات والطرب.

والزينة: تحسين الذات أو المكان بما يجعل وقعه عند ناظره مُسرا له. وفي طباع الناس الرغبة في أن تكون مناظرهم حسنة في عين ناظريهم؛ وذلك في طباع النساء أشد، وربما كان من أسباب شدته فيهن كثرة إغراء الرجال لهن بذلك.

ويكثر التزين في طور الفتوة؛ لأن الرجل يشعر بابتداء زوال محاسن شبابه، والمرأة التي كانت غانية تحب أن تكون حالية، وليس ذلك لأجل تعرضها للرجال كما يتوهمه الرجال فيهن غرورا بأنفسهم، بل ذلك لتكون حسنة في الناس من الرجال والنساء.

ويغلب التزين على أحوال الحياة؛ فإن معظم المساكن والملابس يراد منه الزينة.

والتفاخر: الكلام الذي يفخر به. والفخر: حديث المرء عن محامده والصفات المحمودة فيه بالحق أو الباطل. وصيغ منه زنة (التفاعل)؛ لأن شأن الفخر أن يقع بين جانبين كما أنبأ به تقييده بظرف (**بَيْنَكُمْ**).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والناس يتفاخرون بالصفات المحمودة في عصورهم وأجيالهم وعاداتهم. فمن الصفات ما الفخر به غير باطل، وهو الصفات التي حقائقها محمودة في العقل أو الشرع. ومنها ما الفخر به باطل من الصفات والأعمال التي اصطلح قوم على التمدح بها وليست حقيقة بالمدح، مثل التفاخر بالإغلاء في ثمن الخمور وفي الميسر والزنا، والفخر بقتل النفوس والغارة على الأموال في غير حق.

وأغلب التفاخر في طور الكهولة واكتمال الأشُدَّ؛ لأنه زمن الإقبال على الأفعال التي يقصد منها الفخر. والتفاخر كثير في أحوال الناس في الدنيا، ومنه التباهي والعُجب، وعنه ينشأ الحسد.

والتكاثر: تفاعل من الكثرة، وصيغة التفاعل هنا للمبالغة في الفعل بحيث ينزل منزلة من يغالب غيره في كثرة شيء؛ فإنه يكون أحرص على أن يكون الأكثر منه عنده؛ فكأن المرء ينظر في الكثرة من الأمر المحبوب إلى امرئ آخر له الكثرة منه. ثم شاع إطلاق صيغة التكاثر؛ فصارت تستعمل في الحرص على تحصيل الكثير من غير مراعاة مغالبة الغير ممن حصل عليه، قال تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ [التكاثر:1]

والمعنى: أن الله أقام نظام أحوال الناس في الحياة الدنيا على حكمة أن تكون الحياة وسيلة لبلوغ النفوس إلى ما هيأها الله له من العروج إلى سمو المَلَكِيَّة كما دل عليه قوله: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة:30]، فكان نظام هذه الحياة على أن تجري أمور الناس فيها على حسب تعاليم الهدى للفوز بالحياة الأبدية في النعيم الحق بعد الممات والبعث، فإذا الناسُ قد حرفوها عن مقصدها، وقد تضمن ذلك قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:97]

(كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا)

تشبيه هيئة هذه الأحوال الغالبة على الناس في الحياة في كونها محبوبة للناس مزهية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لهم وفي سرعة تقضيها بهيئة نبات جديد أنبته غيث فاستوى واكتمل وأُعجب به من رآه فمضت عليه مدة فيبس وتحطم.

وقوله: (**ثُمَّ يَهِيجُ**) تضافرت كلمات المفسرين على تفسير يهيج بـ (ييبس) أو (يجف)، ولم يستظهروا بشاهد من كلام العرب يدل على أن من معاني الهياج الجفاف، والوجه أن الهياج: الغلظ ومقاربة اليبس؛ لأن مادة الهياج تدل على الاضطراب والثوران، وسميت الحرب (الهيجاء). والزرع إذا غلظ يكون لحركته صوت فكأنه هائج، أي: ثائر. وذلك ابتداء جفافه.

وعطفت جملة (**يَهِيجُ**) بـ (**ثُمَّ**) لإفادة التراخي الرتبي؛ لأن اصفرار النبات أعظم دلالة على التهيؤ للزوال، وهذا هو الأهم في مقام التزهيد في متاع الدنيا.

وعطف (**فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا**) بالفاء؛ لأن اصفرار النبات مقارب ليبسه، وعطف (**ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا**) بـ (**ثُمَّ**) كعطف (**ثُمَّ يَهِيجُ**). والحُطام: بضم الحاء ما حطم، أي: كُسر قطعا.

فضرب مثل الحياة الدنيا لأطوار ما فيها من شباب وكهولة وهرم ففناء، ومن جدة وتبذل وبِلى، ومن إقبال الأمور في زمن إقبالها ثم إدبارها بعد ذلك؛ بأطوار الزرع. وكلُّهَا أعراض زائلة وآخرها فناء.

ويُفهم من هذا أن ما كان من أحوال الحياة مقصودا لوجه الله؛ فإنه من شئون الآخرة؛ فلا يدخل تحت هذا التمثيل إلا ظاهرا. فأعمال البِر ودراسة العلم ونحو ذلك لا يعتريها نقصٌ ما دام صاحبها مقبلاً عليها. وبعضها يزداد نماء بطول المدة.

(**وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**): كان ذكر حال الحياة الدنيا مقتضيا ذكر مقابله على عادة القرآن. والخبر مستعمل في التحذير والتحريض بقرينة السياق، ولذلك لم يبين أصحاب العذاب وأصحاب المغفرة والرضوان لظهور ذلك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكنى عن النعيم بمغفرة من الله ورضوان؛ لأن النعيم قسمان: مادي وروحاني. فالمغفرةَ والرضوان أصل النعيم الروحاني، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:72]. وهما يقتضيان النعيم الجسماني؛ لأن أهل الجنة لما ركبت ذواتهم من أجسام، وأودعت فيها الأرواح كان النعيمان مناسبين لهم تكثيرا للذات، وما لذة الأجسام إلا صائرة إلى الأرواح لأنها المدركة للذات، وكان رضوان الله يقتضي إعطاءهم منتهى ما به التذاذهم، ومغفرته مقتضية الصفح عما قد يعوق عن بعض ذلك.

وعطف (**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**) على (**وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ**) للمقابلة بين الحالين زيادة في الترغيب والتنفير. والكلام على تقدير مضاف، أي: وما أحوال الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

والغُرور: الخديعة، أي إظهار الأمر الضار الذي من شأنه أن يحترز العاقل منه في صورة النافع الذي يرغب فيه. وإضافة (**مَتَاعُ**) إلى (**الْغُرُورِ**) على معنى لام العاقبة، أي: متاع صائر لأجل الغرور به، أي آيل إلى أنه يغر الناظرين إليه فيسرعون في التعلق به. [التحرير والتنوير]

فالله تعالى يخبر عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب.. وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة؛ فإن قلوبهم معمورة بذكر الله ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله من النفع القاصر والمتعدي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقوله: (**وَزِينَةً**) أي: تزين في اللباس والطعام والشراب والمراكب والدور والقصور والجاه، وغير ذلك. (**وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ**) أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، (**وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**) أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها. بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله. وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلا بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلفها؛ فهاجت ويبست؛ فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق.. كذلك الدنيا؛ بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: (**وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ**) أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله. وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للعقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ) أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور.[1]

وقال الفخر الرازي /: اعلم أن الحياة الدنيا حكمة وصواب، ولذلك لما قال تعالى: ↓ **إِنّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً↑.. قال: ↓إِنّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ↑** [البقرة:30] ولولا أنها حكمة وصواب لما قال ذلك. ولأن الحياة خلقه، كما قال: ↓**الذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ↑** [الملك:2]. وأنه لا يفعل العبث، قال: ↓**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خلقناكم عَبَثاً↑** [المؤمنين:115] وقال: ↓**وَمَا خَلَقْنَا السماء والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا باطلا↑** [ص:27] . ولأن الحياة نعمة بل هي أصل لجميع النعم، وحقائق الأشياء لا تختلف بأن كانت في الدنيا أو في الآخرة؛ ولأنه تعالى عظم المنة بخلق الحياة فقال: ↓**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بالله وَكُنتُمْ أمواتا فأحياكم↑** [البقرة:28] فأول ما ذكر من أصناف نعمه هو الحياة.

فدل مجموع ما ذكرنا على أن الحياة الدنيا غير مذمومة، بل المراد أن مَن صرف هذه الحياة الدنيا لا إلى طاعة الله بل إلى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى؛ فذاك هو المذموم.

ثم إنه تعالى وصفها بأمور:

---

[1] تيسير الكريم الرحمن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أولها: أنها (لَعِبٌ) وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جدا، ثم إن تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة.

وثانيها: أنها (لَهْوَ) وهو فعل الشبان، والغالب أنه بعد انقضائه لا يبقى إلا الحسرة؛ وذلك لأن العاقل بعد انقضائه يرى المال ذاهبا، والعمر ذاهبا، واللذة منقضية، والنفس ازدادت شوقا وتعطشا إليه مع فقدانها؛ فتكون المضار مجتمعة متوالية.

وثالثها: أنها (زِينَةٌ) وهذا دأب النساء لأن المطلوب من الزينة تحسين القبيح، وعمارة البناء المشرف على أن يصير خرابا، والاجتهاد في تكميل الناقص.. ومن المعلوم أن العَرَضي لا يقاوم الذاتي، فإذا كانت الدنيا منقضية لذاتها، فاسدة لذاتها، فكيف يتمكن العاقل من إزالة هذه المفاسد عنها؟! قال ابن عباس: المعنى أن الكافر يشتغل طول حياته بطلب زينة الدنيا دون العمل للآخرة، وهذا كما قيل:

حياتُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ

ورابعها: (تفاخرٌ بينَكُمْ) بالصفات الفانية الزائلة، وهو إما التفاخر بالنسب، أو التفاخر بالقدرة والقوة والعساكر؛ وكلها ذاهبة.

وخامسها: قوله: (وَتَكَاثُرٌ فِي الأموال والأولاد) قال ابن عباس: يجمع المال في سخط الله، ويتباهى به على أولياء الله، ويصرفه في مساخط الله؛ فهو ظلمات بعضها فوق بعض.

وأنه لا وجه بتبعية أصحاب الدنيا يخرج عن هذه الأقسام، وحال الدنيا إذا لم يَخلُ من هذه الوجوه فيجب أن يُعدل عنها إلى ما يؤدي إلى عمارة الآخرة.

ثم ذكر تعالى لهذه الحياة مثلاً، فقال: (**كَمَثَلِ غَيْثٍ**) يعني المطر، ونظيره قوله تعالى: ﴿**واضرب لَهُم مَّثَلَ الحياة الدنيا كَمَاء**﴾ [الكهف:45] .

وقوله: (**أَعْجَبَ الكفار نَبَاتُهُ**) فيه قولان: الأول: قال ابن مسعود: المراد من الكفار الزراع. والعرب تقول للزارع: كافر؛ لأنه يكفر أي يحجب الحبة ويغطيها في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التراب. وإذا أعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو في غاية الحسن. الثاني: أن المراد بالكفار في هذه الآية الكفار بالله؛ وهم أشد إعجابا بزينة الدنيا وحرثها من المؤمنين؛ لأنهم لا يرون سعادة سوى سعادة الدنيا. وقوله: (نَبَاتُهُ) أي: ما نبت من ذلك الغيث.

ثم إنه تعالى ذكر بعده حال الآخرة فقال: (**وَفِي الآخرة عَذَابٌ شَدِيدٌ**) أي: لمن كانت حياته بهذه الصفة. ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه وأهل طاعته؛ وذلك لأنه لما وصف الدنيا بالحقارة وسرعة الانقضاء، بين أن الآخرة إما عذاب شديد دائم، وإما رضوان؛ وهو أعظم درجات الثواب. ثم قال: (**وَما الحياة الدنيا إِلاَّ متاع الغرور**) يعني لمن أقبل عليها، وأعرض بها عن طلب الآخرة.

قال سعيد بن جبير:

الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنِعم الوسيلة.[1]

قال المهايمي: يأخذ صاحبها ملاعب الدنيا بدل ملاعب الحور العين، ولهوها بملاذ الجنة، وزينتها بزينة الجنة، والتفاخر بدل التفاخر بجوار الله والقرب، والتكاثر بالأموال والأولاد بدل نعم الله والولدان المخلدين في الجنة. [محاسن التأويل]

% % %

وإن الدار الآخرة لهي الحيوان:

قال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:64]

[1] مفاتيح الغيب (باختصار وتصرف يسير)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إشارة إلى ازدراء الدنيا وتحقير شأنها.. وكيف لا يحقرها وهي لاتزن عنده جل جلاله جناح بعوضة! فما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون، ولا ثمرة إلا التعب.

(**وَمَا هَـذِهِ الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا**) في الحقيقة (**إِلا لَهْـوٌ وَلَعِـبٌ**) تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة، ثم تزول سريعا، وتنقضي جميعا، ولم يحصل منها محبها إلا على الندم والحسرة والخسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار (**الْحَيَوَانُ**) أي: الحياة الكاملة التي من لوازمها أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة؛ لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان؛ من المآكل والمشارب والمناكح وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب. فدل ذلك على أن الذين يعلمون لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا لما يعلمونه من حالة الدارين.

وفرق بين الحياة والحيوان.. الحياة هي هذه التي نحياها في الدنيا؛ يحياها الأفراد، ويحياها النبات، ثم تؤول إلى الموت والفناء. أما (الحيوان) فيعني الحياة الأرقى في الآخرة؛ لأنها حياة باقية، حياة حقيقية.[1]

فهذه الحياة الدنيا في عمومها ليست إلا لهوا ولعبا حين لا يُنظر فيها إلى الآخرة. حين تكون هي الغاية العليا للناس. حين يصبح المتاع فيها هو الغاية من

[1] محاسن التأويل – تفسير الشعراوي – تيسير الكريم الرحمن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحياة. فأما الحياة الآخرة فهي الحياة الفائضة بالحيوية. هي (الحيوان) لشدة ما فيها من الحيوية والامتلاء.

والقرآن لا يعني بهذا أن يحض على الزهد في متاع الدنيا والفرار منه وإلقائه بعيدا. إن هذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه. إنما يعني مراعاة الآخرة في هذا المتاع، والوقوف فيه عند حدود الله. كما يقصد الاستعلاء عليه فلا تصبح النفس أسيرة له، يكلفها ما يكلفها فلا تتأبى عليه! فهذه قيمة الدنيا وهذه قيمة الآخرة كما ينبغي أن يستشعرها المؤمن، ثم يسير في متاع الحياة الدنيا على ضوئها، مالكا لحريته معتدلاً في نظرته: الدنيا لهو ولعب، والآخرة حياة مليئة بالحياة. [في ظلال القرآن]

عن أنس بن مالك ت قال: قال رسول الله خ: **"مَن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومَن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"**. [رواه الترمذي، وصححه الألباني]

يقول الإمام الغزالي /: [اعلم أن مثل الناس فيما أُعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها، وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما؛ واحدا بعد واحد.. فدخل واحد داره، فقدَّم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه؛ لا ليتملكه ويأخذه.. فظن أنه قد وهبه إياه؛ فتعلق به قلبه لَمَّا ظن أنه له، فلما استرجعه منه ضجر وتفجع! أما مَن كان عالما بشرطه انتفع به وشكره، ورده بطيب قلب وانشراح صدر.. وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة؛ سُبِلت على المجتازين لا على المقيمين؛ ليتزودوا منها، وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها.] [الإحياء]

فيا عباد الله..

This file was downloaded from QuranicThought.com

لا دارَ للمرءِ بعدَ الموتِ يسكنُها فإنْ بناها بخيرٍ طابَ مَسكنُهُ
إلا التي كان قبلَ الموتِ يبنيها وإنْ بناها بشرٍّ خاب بانيها
أنَّ الزهادةَ النفسُ ترغبُ في الدنيا وقد عَلِمَتْ فاغرِسْ أصولَ التُّقَى مادمتَ مجتهدًا
فيها تركُ ما فيها واعلَمْ بأنكَ بعدَ الموتِ لاقيها

% % %

ورزق ربك خير وأبقى:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:131]

إن الذى يقض مضجع ذوي الأهواء أنهم ينظرون إلى ما عند غيرهم من أسباب المتع والملاذ، وإنه هو الذى يمنع صبر مَن يريد الصبر.. ولذا بعد أن أمر الله تعالى نبيه بالصبر نهاه عما يضعف قوة النفس والإرادة؛ ليصون الرسول ومن معه نفسه عن الأسباب التى تضع الإرادة القوية الباصرة، فقال عز من قائل: (**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ**). وفى هذا النهى شحذ الإرادة لتقوَى على الصبر، وإن المعنى الذى يبدو من النص أنه نهي للنبي خ عن أن يلتفت إلى ما هم فيه من استيلاء على زخارف الدنيا وزينتها، ولا يأخذ نفسه ذلك فيحسب أن لهم به منزلة عند الله تعالى، بل إنه دليل خسرانهم. وإذا كان النهي عن أن يلتفت إلى زينة الحياة الدنيا، فهو أمر له خ ومن معه أن يتجهوا إلى معالى الأمور ومعنوياتها عن زخارفها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(**وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**) **فيه وجهان: أحدهما:** المراد منه نظر العين. ومد النظر تطويله، وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه إعجابا به، كما فعل نظارة قارون حيث قالوا: **↓ياليت لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قارون إِنَّهُ لَذُو حَظّ عَظِيمٍ↑** [القصص:79] حتى واجههم أولو العلم والإيمان بقولهم: **↓وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا↑** [القصص:80]. وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه؛ وذلك كما إذا نظر الإنسان إلى شيء مرة ثم غض. ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع قيل: (**وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**) أي: لا تفعل ما أنت معتاد له.

ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعُدَد الفسقة في اللباس والمركوب وغير ذلك؛ لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة؛ فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمقوي لهم على اتخاذها.

القول الثاني: قال أبو مسلم: الذي نهى عنه بقوله: (**وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**) ليس هو النظر، بل هو الأسف. أي: لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.

(**إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ**) أي: ألذذنا به. والإمتاع الإلذاذ بما يُدرك من المناظر الحسنة، ويُسمع من الأصوات المطربة، ويُشم من الروائح الطيبة، وغير ذلك من الملابس والمناكح. يقال: أمتعه إمتاعا، ومتَّعه تمتيعا و(التفعيل) يقتضي التكثير.

(**أَزْوَاجًا مِنْهُمْ**) أي: أشكالاً وأشباها من الكفار، وهي من المزاوجة بين الأشياء وهي المشاكلة، وذلك لأنهم أشكال في الذهاب عن الصواب، وقال ابن عباس **ب**: أصنافا منهم. وقال الكلبي والزجاج: رجالاً منهم. أو لدلالته على العائلات والبيوت، أي: إلى ما متعناهم وأزواجَهم به من المتع؛ فكلُّ زوج ممتَّع بمتعة في زوجه مما يحسن في نظر كل من محاسن قرينه، وما يقارن ذلك من محاسن مشتركة بين الزوجين كالبنين والرياش والمنازل والخدم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(**زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**): الزَّهْرة واحدة الزهْر، وهو نَوْر الشجر والنبات. وتستعار للزينة المعجِبة المبهتة؛ لأن منظر الزهرة يزين النبات ويُعجب الناظر. فزهرة الحياة: زينة الحياة، أي زينة أمور الحياة من اللباس والأنعام والجنان والنساء والبنين.. ووصفهم بزهرة الدنيا لصفاء ألوانهم وتهلل وجوههم، بخلاف ما عليه الصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب.

والتعبير عن هذه الزخارف وغيرها من أسباب القوة الظاهرة بـ (زهرة) تدل على أمرين: أحدهما أنها كالزهرة، والزهرة عمرها قصير، فهي لا تبقى طويلا. والثاني الإشارة إلى أن متعة الدنيا بريق لا يكون بعده قوة حقيقية، فهي متع كالسراج المزهر سرعان ما ينطفئ، وما أنت عليه يا محمد لا ينطفئ نوره أبدا.

وإن غاية هذه الزهرات إلى انطفاء، وهي اختبار لهم، ولذلك قال تعالى: (**لِنَفْتِنَهُمْ فِيه**) أي: لنعاملهم معاملة المختبرين فيزدادوا طغيانا على طغيانهم، وتنكشف حقيقة أمرهم، ويعرف ما فيهم من غي وشر. والتعدية بقوله (فيه) دون التعبير بالباء، للإشارة إلى أنهم مغمورون في فتنة دائمة قد أحاطت بهم، فهم يسارعون فيها من جنبة إلى جنبة وقد أحيط بهم.

والفتنة اضطراب النفس وتبلبل البال من خوف أو توقع أو التواء الأمور، وكانوا لا يَخلُون من ذلك، فلشِركهم يقذف الله في قلوبهم الغم والتوقع، وفتنتُهم في الآخرة ظاهرة.

وفي قوله: (**لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**) وجوه: **أحدها**: لنعذبهم به، كقوله: ↓**فَلاَ تُعْجِبْكَ أموالهم وأولادهم إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحياةِ الدنيا**↑ [التوبة:55]. **وثانيها**: قال ابن عباس **ب**: إضلالاً مني لهم. **وثالثها**: قال الكلبي ومقاتل: تشديدا في التكليف عليهم؛ لأن الإعراض عن الدنيا عند حضورها والإقبال إلى الله أشد من ذلك عند عدم حضورها؛ ولذلك كان رجوع الفقراء إلى خدمة الله تعالى والتضرع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إليه أكثر من تضرع الأغنياء. ولأن على مَن أوتي الدنيا ضروبا من التكليف لولاها لما لزمتهم تلك التكاليف. ولأن القادر على المعاصي يكون الاجتناب عن المعاصي أشق عليه من العاجز الفقير.. فمن هذه الجهات تكون الزيادة في الدنيا تشديدا في التكليف. أو: ليحصل فتنتهم في خلاله. ففي كل صنف من ذلك المتاع فتنة مناسبة له. واللام للعلة المجازية التي هي عاقبة الشيء، مثل قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:8]

ثم قال لرسوله خ: (وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأَبْقَى).. والأظهر أن المراد أن مطلوبك الذي تجده من الثواب خير من مطلوبهم وأبقى؛ لأنه يدوم ولا ينقطع. وليس كذلك حال ما أوتوه من الدنيا. ويحتمل أن يكون المراد: ما أوتيتَه من يسير الدنيا إذا قرنتَه بالطاعة خير لك من حيث العاقبة وأبقى، فذكر الرزق في الدنيا ووصفه بحسن عاقبته إذا رضي به وصبر عليه. ويحتمل أن يكون المراد ما أُعطي من النبوة والدرجات الرفيعة.

وإضافة (وَرِزْقُ رَبِّكَ) إضافة تشريف، وإلا فإن الرزق كله من الله، ولكن رزق الكافرين لما خالطه وحفَّ به حال أصحابه من غضب الله عليهم، ولما فيه من التبعة على أصحابه في الدنيا والآخرة لكفرانهم النعمة؛ جُعل كالمنكور انتسابه إلى الله، وجُعل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران ومن تبعات ذلك.

وجملة (وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأَبْقَى) تذييل؛ لأن قوله: (وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) إلى آخره يفيد أن ما يبدو للناظر من حسن شارتهم مشوب ومبطَّن بفتنة في النفس، وشقاء في العيش، وعقاب عليه في الآخرة.. فذيل بأن الرزق الميسَّر من الله للمؤمنين خير من ذلك وأبقى في الدنيا، ومنفعته باقية في الآخرة لما يقارنه في الدنيا من الشكر. [مفاتيح الغيب – التحرير والتنوير – زهرة التفاسير]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فلا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها؛ من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة.. فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها -بقطع النظر عن الآخرة- القوم الظالمون، ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها؛ فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملا، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا . وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾ [الكهف:7-8]

(**وَرِزْقُ رَبِّكَ**) العاجل من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم والعيش السليم في جوار الرب الرحيم (**خَيْرٌ**) مما متعنا به أزواجا في ذاته وصفاته (**وَأَبْقَى**) لكونه لا ينقطع؛ أُكلُها دائم وظلها، كما قال تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [الأعلى:16-17]

وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا وإقبالا عليها؛ أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا. [تيسير الكريم الرحمن]

فلا تشغل بالك بما أعطاهم الله؛ لأنه سبحانه سيعطيك أعظم من هذا، ورِزق ربك خير من هذا النعيم الزائل وأبقى وأخلد؛ لأنه دائم لا ينقطع في دار البقاء التي لا تفوتها ولا تفوتك..

أما هؤلاء فنعيمهم موقوت؛ إمّا أنْ يفوتهم بالفقر، أو يفوتوه هم بالموت.

% % %

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين:

رحم الله الإمام مالك بن أنس حين قال: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.. وقد بين رسول الله خ كيف صلح أول هذه الأمة بقوله: "صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل". [حسنه الألباني في صحيح الجامع]

وتلك كانت حال النبي خ وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم.. فإنه لما [بعث الله محمدا خ رحمة للإنسانية كلها؛ بعث معه أمة بأسرها؛ فكانت بعثة مقرونة. لم تكن بعثة مؤقتة أو محدودة؛ يُبعث نبي ويدعو إلى الله، ويفارق الحياة، ولا يخلِّف مَن يخلفه في دعوته. إن الله سبحانه وتعالى لما قرر أن تكون هذه البعثة هي البعثة الأخيرة الخالدة، والبعثة العالمية؛ بعث معه أمة بأسرها. والقرآن الكريم يؤثر هذا التعبير: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110]، لم تكن هذه الأمة حشائش طفيلية، ولا نابتة من النوابت، ولا أشجارا في الغابة تنبت بنفسها ثم تنمو وتموت.. إنما كانت إخراجا من الله القائل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.. إن هذه الأمة ما خرجت؛ إنما (أُخرِجت).. وشتان بين الخروج وبين الإخراج..

وعندما خرجت كتائب الإيمان من مدينة الرسول خ وانطلقت؛ كانت مفاجأة من أكبر المفاجآت التي سجلها التاريخ.. خرج المسلمون بثيابهم المرقعة وبنعالهم المخصوفة، وبغَرْزهم[1] المتقطع، وبسيوفهم البالية الأجفان؛ من غير مدد يصل إليهم، ومن غير تموين منظم؛ خرجوا متوكلين على الله.. فكان منهم جيش توجه إلى (إيران) الإمبراطورية الساسانية الكيانية التي دامت قرونا عديدة، وتوزعت العالَم

[1] كل ما كان مِساكا للرِّجْلَين في المَرْكَب (غَرْزٌ)، وغَرَزَ رِجْلَه في الغَرْزِ يَغْرِزُها غَرْزا: وضعها فيه ليركب وأثبتها. [لسان العرب]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المتمدن المعمور مع منافستها الإمبراطورية الرومانية البيزنطية.. فأرسل "رستم" قائد القواد لجيش إيران -الذي كان يلي الإمبراطور "كسرى" في المنزلة والنفوذ والأهمية- إلى سعد بن أبي وقاص ت قائد الجيش الإسلامي، وطلب منه أن يرسل إليه من يستطيع أن يعرف منه الهدف من هذا الغزو العربي. وما كان يتصور أكثر من أن هؤلاء الرحالين العرب الفقراء الصعاليك؛ إنما أخرجهم الجوع؛ ولهم الحق أن يخرجوا.. فقد دفعهم الجوع وما كانوا فيه من ضيق العيش وقلة الموارد إلى هذه المملكة الفارسية التي يسمعون عن ثروتها ونعيمها وبذخها وترفها.. هذا الذي كان يصل إليه ذكاء "رستم"! فالأمر بسيط.. نزودهم بالميرة والمواد الغذائية، ونقول لهم: ارجعوا إلى بلادكم، وسيصلكم المدد والتموين، وسنتعهدكم بالطعام والكسوة.. هذا الذي كان يتصوره "رستم"..

واختار سعد بن أبي وقاص ت رجلا من المسلمين اسمه "ربعي بن عامر" ت.

ذهب ربعي إلى رستم؛ وقد زين رستم مجلسه بأكثر ما يمكن أن يزينه ملك من الملوك؛ حتى يرهب هذا الرجل ويغلَب على أمره، ويقف مشدوها حائرا!

ولما تقدم ربعي قال له رستم: ما الذي جاء بكم؟ **فقال من غير تردد: "الله ابتعثنا"**.. إنها الضربة الأولى الموجعة!

وهنا تلتقي القوة الإيمانية مع القدرة البيانية.. هنا الإيمان يتكلم.. الحكمة الإيمانية التي انتقلت إليهم من مجالس الرسول خ ومن تربيته..

"الله ابتعثنا لنخرج مَن شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده"..

This file was downloaded from QuranicThought.com

ما أوسع هذه الكلمة وما أجمعها وما أبلغها! يتكلم العربي المسلم أمام رجل قد استعبد الناس، وأمام أمة قد استعبدت الأمم، وأمام طبقة أرستقراطية قد استعبدت الطبقات كلها..!

ثم قال: "ومن ضيق الدنيا إلى سعتها"..!

لو قال ت: من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.. لم يكن مستغربا؛ بل كان متوقعا ومقبولا.. ولكن قال: من ضيق الدنيا إلى سعتها..! نحن العرب البدو نعيش في الخيام، ونأكل لحوم الإبل، ونعيش على التمر.. إنما جئنا لنخرجكم أيها الفرس المنعمون من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا! فأي ضيق يا ترى كان الفرس فيه؟! وأي سعة كان فيها العرب؟!

لولا أن التاريخ الأمين حدثنا بذلك لما صدقنا أن بدويا اجترأ أن يقول ذلك لقائد قوات فارس العظيمة، ووزير الدفاع في إمبراطورية كسرى! إنها معجزة من معجزات الهداية الإلهية والصحبة النبوية..

العرب الذين كانوا يحسبون الكافور ملحا، وعندما جربوا لأول مرة الخبز الرقاق حسبوها مناديل؛ فجعلوا يمسحون بها أيديهم! ولكن اليقين الذي وهبه لهم الإيمان جعل ربعي بن عامر ت في موقف القدوة إلى يومنا هذا، وسيظل كذلك إلى يوم الدين.. اليقين الذي فقدناه اليوم؛ عندما يذهب شباب المسلمين إلى أوربا يأخذهم العجب، وتبهرهم الحضارة، ويستهينون بأمتهم..!

ولكن هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في حدود "إيران" لم يسل لعابهم أبدا، ولم يأخذهم سحر الحضارة التي رقت حواشيها.. إنكم إذا قرأتم أخبار (فرش بهار)[1] في تاريخ الطبري وتفاصيله؛ تصورتموه حكاية من حكايات الجن! كانوا يبسطونه

[1] بساط الربيع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في أيام الخريف ليستحضروا ذكريات الربيع، ويستنشقوا أريج الربيع! إلى هذا الحد بلغت مدنية الفرس..

وتصوروا أن "كسرى يزدجرد" آخر ملوك الفرس لما خرج من "المدائن" وقد أيقن أن ملكه زائل؛ أخذ معه ألف طاهٍ وألف مغنٍ وألف مربٍ للصقور، وكان يرثي لنفسه ويقول: يا حسرتاه! ما أخذت شيئا، كيف أعيش في هذه القلة القليلة من الخدم والحشم؟!! وإلى هذا الحد أيضا بلغت المدنية الفارسية المزورة المصطنعة التي قامت على دماء الفقراء وعلى عرق الفلاحين..

إن هؤلاء الصحابة الفقراء في هذا الجيش الإسلامي لم يسل لعابهم أمام هذه المدنية، بل بالعكس ملأ جوانحهم الرثاء والرحمة لهؤلاء المنعمين المنكوبين، المترفين المعذبين، الأشقياء البائسين؛ الذين كانوا يسمون (ملوكا) و(أمراء).. هذه المدنية ملأت قلوب الصحابة بالرثاء والرحمة، وما تركت مكانا في جوانحهم للغبطة والحسد..

إن "يزدجرد" لما غادر بلاده وعرف أنه لا يرجع إليها، وأن الحكم للعرب المسلمين بإذن الله تعالى؛ لجأ إلى كوخ عجوز فقيرة؛ فأصابه العطش فطلب الماء، وجاءت العجوز بالماء في كوب من خشب، فقال: أأشرب من هذا؟! والله لو مت عطشا ما استطعت أن أشرب من هذا! وقدم إليه طعام في هذه الجولة الاضطرارية، فقال: لا أستطيع أن أسيغ لقمة إلا إذا سمعت الغناء والموسيقى!![1]

وأي عبودية أعمق من هذه وأقوى؟!! الإنسان يموت عطشا ولا يشرب من كأس من خشب! هكذا استعبدتهم عاداتهم، استعبدتهم شهواتهم، استعبدتهم أعرافهم، استعبدتهم تقاليدهم، واستعبدتهم المعايير المصطنعة..

[1] كان الملوك والأمراء إذا جلسوا على الموائد غنى المغنون أولا، بعد ذلك يطيب لهم الطعام.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولكن العرب كانوا (أحرارا) بمعنى الكلمة كله..] [1]

فاتباع الإتراف فيه فساد وإجرام؛ ذلك أن مثار الظلم والإجرام الموجب لهلاك الأمم هو اتباع أكثرها لما أترفوا فيه من أسباب النعيم والشهوات واللذات، والمترفون هم مفسدو الأمم ومهلكوها.

وقد علم هذا المهتدون الأولون بالقرآن من الخلفاء الراشدين والسلف الصالحين؛ فكانوا مثلا صالحا في الاعتدال في المعيشة، أو تغليب جانب الخشونة والشدة على الإتراف والنعمة؛ ففتحوا الأمصار، وأقاموا دولة عز على التاريخ أن يقيم مثلها باتباع هدي القرآن وبيان السنة له.. وبذلك خرجوا من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والعرفان، ثم أضاعها مَن خلف مِن بعدهم من متبعي الإتراف، وكيف ضلوا بعد أن استفادوا الفنون والعلوم والملك والسلطان، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

[تفسير المراغي]

وقد أدرك هذه الحقيقة أعداء الأمة؛ فبذلوا جهودهم لـ"إنشاء جيل همه الشهوات، ويعيش من أجل الشهوات، وفي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك".[1]

يقول الشيخ/ محمد الغزالي /: من أخلاق الضعة التي رمانا بها الاستعمار قديما الشره في طلب اللذائذ، والرغبة في الراحة دون عمل، ونيل المغنم القريب من غير مغرم يبذل، وقعود الهمم عن الآمال العراض والمطامح العظام، مع إدمان غريب للشهوات الدنيا، وتتبع للعورات، وتصور ظالم للمرأة وأنواع المتع! إلى غير ذلك من ذرائع الهزيمة التي لا تتاح معها نهضة، ولا ينجح في ظلالها سعي!

---

[1] حاجة العصر ومسئولية الأمة: أبو الحسن الندوي – مجلة الأمة (شعبان 1405هـ)

[1] كلمة لـ "زويمر" زعيم المنصرين المبشرين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي مصر يسَّر الاحتلال البريطاني -للعوام وللمثقفين على السواء- أن يرتعوا في هذه الدنايا، وأن يحيوا داخل نطاقها كما يحيا بعض الحيوان داخل القوقع! فانتشرت الحانات في قرى الريف وأحياء المدن، وأبيح البغاء..!

واحمرت الليالي أكثر العام بالسهر النجس وألوان الإثم التي يفتن فيها الفارغون.. وانضم إلى ذلك -بل سبق ذلك- إخلاء الحياة العامة من رسالة تنتظم فيها المشاعر، وتجند لها الجوارح، وينشغل الجميع بأعبائها، يفرحون لما يصيبها من نصر، ويكتئبون لما يلحقها من انهزام..

لقد أصبح الناس عبيدا لشهواتهم؛ لا همة لهم من الدنيا إلا أن يستجلبوا من اللذاذات وصنوف المشتهيات ما لم يحلم به الغربيون الذين هم أهل كدح ولغوب وراء معايشهم!! فصاروا بذلك أدوات في يد المستعمر يستخدمها متى يشاء، ويرميها أو يكسرها إذا أحب!

إن هذه الحال من عشق الدنيا أقوى ذرائع الفتك في كياننا المريض.
وهي حال يشجعها الاستعمار الذي غزا الشرق بعقلية اللص!
فليس يهمه أن يعامل مغفلين ذوي شهوات نزقة!

أترى الاستعمار يألم لأن الخديو إسماعيل أسس دار الأوبرا في القاهرة، وأن تفكيره جرى إلى ذلك قبل أن يجري إلى تأسيس مصنع نافع؟ كلا.. إنه يهتم بمثل هذا الحاكم، ويريد أن تسري روحه إلى كل فرد في الشعب! بل إنه سلط زبانيته لدفع الشعوب العربية في هذه السبل القذرة! وحالف في هذه السبيل الكتاب والصحفيين والمبشرين كي يبنوا المجتمع الإسلامي على هذه الدعائم المنهارة، وكي يصوغوا أفكار الشباب وآماله؛ فإذا هي لا تعدو ذلك العبث الصبياني في اصطياد امرأة وإجابة نزوة! هذه هي الأهداف المعنوية التي يسعى الاستعمار لبثها..

ألا فلنحذر على ديننا ودنيانا هذه الميوعة الخسيسة التي اعتلَّت بها أمتنا!!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهذه أيام ينبغي أن يخشوشن فيها المنعَّم، وينتبه فيها الوسنان..

إن معركة الإسلام مع الاستعمار لم تنتهِ، ولها أعباء ثقال

لن يستطيعها المختالون في أزيائهم من الشبان الناعمين،

ولا المشغوفون بلذاذاتهم من أشباه الرجال!

إن الأجيال المنهزمة تلحقها علة واحدة. ولذلك تلحظ عليها أعراضًا متشابهة،

وإن اختلف المكان والزمان.. في زحف الصليبية القديم على الشرق

الأوسط أمكن المهاجمين أن ينفذوا أول الأمر إلى أحشاء الإسلام

وصميم بلاده! لماذا..؟! لأن القوم شُغلوا بالعيش الرخي

والقعود اللين عن مغارم الكفاح المر..! فكان أن

ضربهم الله بالذل، وسلط عليهم الأعداء.. [1]

فيا عباد الله..

نـــا فـتـــنٌ أعْمَتْ فـمـــا وَعَيْنـــا ! وعَـمَّ الـــذلّ و
نـــا ولا الـمـــواعـــظُ والآيـــاتُ والـ
فـواجعُ، لا الأحداثُ تُـــوقِظُنـــا وكيف يُنقِـــذُ مَنْ أردَى بهِم خَـوَ
رنَّ صلاحَ الـديـــنِ يُـنقـــذُنـــا فـيـهـا؛ فـضـاعت على أهـــوائـهـــا ا
ـا أنـفـسٌ يَـطغى الـهـوى شططًـا على هـــواهـــا أتَـى مِن بـعـدِهِ الـظ
ذنْ أنْـفـسًـا حتى إذا انـتـصرَتْ

% % %

فحق عليها القول:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:16]

---

[1] كفاح دين (باختصار وتصرف)

[2] من قصيدة "أيقظ إذن أنفسا" للشاعر د. عدنان علي رضا النحوي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الترف أن يسترخي الإنسان في إرادته وعزيمته وصبره؛ فيكون كل شيء فيه مسترخيا.. فإرادته مسترخية، وعزيمته لا قوة فيها، ونفسه غير منضبطة، والشهوات حاكمة، والأهواء جامحة.. والمترف يختص بثلاث خصال: ضعف في الإرادة، واندفاع وراء الأهواء والشهوات، وأثرة تجعله يعيش في محيط نفسه ولا يخرج عن دائرتها. ولذا كان المترفون دائما هم أعداء الأنبياء؛ لأنهم أوتوا أثرة مقيتة، وكل حق يحتاج إلى فداء وجهاد وبلاء وجلاد، وكان أتباع النبيين من الفقراء الذين لا يعيشون عيشة راضية، وكان أعداء النبيين من المترفين يقولون: ﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾ [هود:27]

إن إرادة الله تعالى لهلاك الأمة تكون إذا سارت الأمة في أسباب الهلاك، وانتهت إليه؛ فيريد الله تعالى لها ما أخذت في أسبابه وسارت في طريقه قاصدة الغاية مريدة لها. فمعنى إرادة الله تعالى سيرها في طريق الهلاك حتى ترد موارد الهلكة، وذهبت أسباب قوتها، وحلت محلها أسباب انهيارها.

(أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا): في هذه الآية الكريمة ثلاثة مذاهب معروفة عند علماء التفسير:

الأول: –وهو الصواب الذي يشهد له القرآن، وعليه جمهور العلماء– أن الأمر في قوله: (**أَمَرْنَا**) هو الأمر الذي هو ضد النهي، وأن تعلق (الأمر) محذوف لظهوره. والمعنى: (**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**) بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوا به (**فَفَسَقُواْ**) أي: خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله؛ (**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ**) أي وجب عليها الوعيد؛ (**فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**) أي: أهلكناها إهلاكا مستأصِلا. وأكد فعل التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم.

وهذا القول الذي هو الحق في هذه الآية تشهد له آيات كثيرة، كقوله: ﴿**وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ آبَاءَنَا واللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ**

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بالفحشآء↑ [الأعراف:28]. فتصريحه جل وعلا بأنه لا يأمر بالفحشاء دليل واضح على أن قوله: (**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا**) أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا. وليس المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء.

وهذا القول الصحيح في الآية جارٍ على الأسلوب العربي المألوف، من قولهم: أمرته فعصاني. أي أمرته بالطاعة فعصى. وليس المعنى: أمرته بالعصيان.

القول الثاني في الآية: هو أن الأمر في قوله: (**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**) أمر كوني قدري، أي: قدَّرنا عليهم ذلك وسخرناهم له. لأن كلاًّ مُيسَّر لما خُلق له. والأمر الكوني القدري كقوله: **↓وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بالبصر↑** [القمر:50]، وقوله: **↓قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ↑** [الأعراف:166]، وقوله: **↓أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً↑** [يونس:24]، وقوله: **↓إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ↑** [يس:82]

القول الثالث في الآية: أن (أَمَرْنَا) بمعنى أكثرنا. أي أكثرنا مترفيها ففسقوا. قال أبو عبيدة: (أمرنا) بمعنى أكثرنا لغة فصيحة كآمرنا بالمد.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: قوله تعالى: (أمرنا) قرأ أبو عثمان النهدي، وأبو رجاء، وأبو العالية، والربيع، ومجاهد، والحسن: (أمَّرنا) بالتشديد. وهي قراءة علي ت. أي: سلطنا شرارها فعصوا فيها؛ فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم.

وقال أبو عثمان النهدي: (أمَّرنا) بتشديد الميم: جعلناهم أمراء مسلطين. وقاله ابن عزيز: وتأمر عليهم تسلط عليهم. وقرأ الحسن أيضا، وقتادة، وأبو حيوة الشامي، ويعقوب وخارجة عن نافع، وحماد بن سلمة عن ابن كثير وعلي وابن عباس باختلاف عنهما: (آمرنا) بالمد والتخفيف. أي: أكثرنا جبابرتها وأمراءها. قاله الكسائي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمعنى: إذا أردنا أن نعذب قوما عذاب استئصال (**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**) يعني متنعميها بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إليهم؛ (**فَفَسَقُواْ فِيهَا**) بمخالفة أمره تعالى والخروج عن طاعته؛ (**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ**) فوجب عليها بمعصيتهم وفسقهم وطغيانهم وعيد الله الذي أوعد من كفر به وخالف رسله من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج.. (**فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**) أي: فخربناها تخريبا لا يُكتنه كنهه ولا يوصف. وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكا هائلاً، كما جرى لبيت المقدس لما انحرف اليهود عن شرعتهم.

وإنما خص المترفين؛ وهم الجبارون والملوك والرؤساء بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل؛ لأنهم الأصل في الخطاب والباقي تبع لهم. ولأن توجه الأمر إليهم آكد.

وفي إيثار (القرية) على أهلها زيادة تهويل وتفظيع، إشارة إلى التنكيل بهم بهدم صروحهم ودورهم، وطمس أثرهم؛ وهو أوجع للقلب وأنكى للعدو. ولذلك أتى إثره بالمصدر المؤكد فقال: (**تَدْمِيراً**) أي: كليا بحيث لم يبقَ لهم زرع أو ضرع.

قال القاشانيّ: إن لكل شيء في الدنيا زوالاً، وزواله بحصول استعداد يقتضي ذلك. وكما أن زوال البدن بزوال الاعتدال، وحصول انحراف يبعده عن بقائه وثباته؛ فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها من الجادة المستقيمة التي هي صراط الله وهي الشريعة الحافظة للنظام. فإذا جاء وقت إهلاك قرية، فلا بد من استحقاقها للإهلاك؛ وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله. فلما تعلقت إرادته بإهلاكها، تقدمه أولا بالضرورة فسق مترفيها من أصحاب الترف والتنعم بطرا وأشرا بنعمة الله، واستعمالا لها فيما لا ينبغي. وذلك بأمر من الله وقدر منه؛ لشقاوة كانت تلزم استعداداتهم. وحينئذ وجب إهلاكهم.

تنبيه:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في هذه الآية الكريمة سؤال معروف، وهو أن يقال: إن الله أسند الفسق فيها لخصوص المترفين دون غيرهم في قوله: (**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا**) مع أنه ذكر عموم الهلاك للجميع: المترفين وغيرهم في قوله: (**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**) يعني القرية، ولم يستثنِ منها غير المترفين.

والجواب من وجهين:

الأول: أن غير المترفين تبع لهم. وإنما خص بالذكر المترفين الذين هم سادتهم وكبراؤهم؛ لأن غيرهم تبع لهم. كما قال تعالى: **↓وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السبيلا↑** [الأحزاب:67]، وكقوله: **↓إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ↑** [البقرة:166]، وقوله: **↓وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي النار فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النار↑** [غافر:47] إلى غير ذلك من الآيات.

الوجه الثاني: أن بعضهم إن عصى الله وبغى وطغى ولم ينههم الآخرون فإن الهلاك يعم الجميع. كما قال تعالى: **↓واتقوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الذين ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً↑** [الأنفال:25]، وفي الصحيح من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش ل أنها لما سمعت النَّبي خ يقول: **"لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍّ قد اقتربْ، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجود مثل هذه" –وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها– قالت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث".**

وهنا أمران بيانيان نشير إليهما:

الأمر الأول: في قوله تعالى: (**مُتْرَفِيهَا**) فيه إشارة إلى أن السبب في التدمير هو الترف والاسترخاء، ولذا قال تعالى: (**فَفَسَقُوا**) والفاء هنا لبيان أن ما قبلها سبب لما بعدها، أي أن تمكين المترفين مؤدٍ إلى الفسق لا محالة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأمر الثاني: أن التدمير الهلاك، وهو نوعان: النوع الأول: ذهاب قوتها، وأن تكون طعمة سهلة لغيرها؛ فذلك فناء لشخصية الأمة وضياع لقوتها، وصيرورتها تابعة لغيرها، فتفقد عزتها. والنوع الثاني: أن ينزل الله تعالى عليها عذابا من عنده، كريح حاصب صرصر عاتية، أو يجعل عاليها سافلها، ويمطرهم حجارة من سجيل، كما فعل بقوم لوط؛ إذ فسقوا عن أمر ربهم.

وأيا كان نوع التدمير؛ فقد رتبه سبحانه على الفسق، وأكده بالمصدر الذي هو مفعول مطلق، فقال سبحانه: (**فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**).

وقوله تعالى: (**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ**)، أي: فوجب عليها القول. أي: أمر الله تعالى بتدميرها؛ إما بمسبب عادي أدى إليه الترف، وإما بعذاب من عنده، والله تعالى أعلم.[1]

والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة؛ فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتَلِغ في الأعراض والحرمات. وهم إذا لم يجدوا مَن يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها. ومِن ثَم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها؛ فتهلك وتُطوَى صفحتها.

والآية تقرر سنة الله هذه. فإذا قدَّر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم؛ سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها؛ فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت؛ فحقت عليها سنة الله،

---

[1] زهرة التفاسير – أضواء البيان – محاسن التأويل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأصابها الدمار والهلاك. وهي المسئولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين.

فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك.

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته. والله لا يأمر بالفسق؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء.

لكن وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا. وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة.

فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجية القهري الذي ينشئ السبب، ولكنها ترتب النتيجة على السبب. الأمر الذي لا مفر منه لأن السنة جرت به. والأمر ليس أمرا توجيهيا إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفسق.

وهنا تبرز تبعة الجماعة في ترك النظم الفاسدة تنشئ آثارها التي لا مفر منها. وعدم الضرب على أيدي المترفين فيها كي لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميرا. [في ظلال القرآن]

وكم رأينا من أشخاص وبلاد حاقَ بهم سوء أعمالهم حتى أصبحوا عِبرةً ومُثْلة؛ وبذلك تعتدل حركة الحياة؛ حيث يشاهد الجميع ما نزل بالمفسدين من خراب ودمار.. وإذا استقرأت البلاد في نواحي العالم المختلفة لتيسَّر لك الوقوف على هذه السُّنة الإلهية في بلاد بعينها، ولاستطعتَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن تعزو ما حدث لها إلى أسباب واضحة من الخروج عن منهج الحق سبحانه.

ولعل قصة سقوط بغداد سنة ست وخمسين وستمائة أشهر من أن تُذكر.. فقد أحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه..

جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعا شديدا، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم..

أما ضياع الأندلس فإن من الأسباب البارزة لضياعها الانغماس في الشهوات والركون إلى الدعة والترف.

ولنتدبر وصف أحد المؤرخين النصارى لحال المسلمين ساعتئذ؛ يقول:

العرب هووا عندما نسوا فضائلهم التي جاءوا بها، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال في الشهوات (!!)

ويقول شوقي أبو خليل:

إن الأندلسيين في أواخر أيامهم ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم، وناموا في ظل ظليل من الغنى الواسع والحياة العابثة والمجون وما يُرضي الأهواء من ألوان الترف الفاجر؛ فذهبت أخلاقهم كما ماتت حميتهم وحمية آبائهم البواسل، وغدا التهتك والخلاعة والإغراق في المجون، واهتمام النساء بمظاهر التبرج والزينة بالذهب واللآلئ من أبرز المميزات أيام الاضمحلال. لقد استناموا للشهوات والسهرات الماجنة والجواري الشاديات. وإن شعبا يهوي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلى هذا الدرك من الانحلال والميوعة لا يستطيع أن يصمد رجاله لحرب أو جهاد.

وذكر عدد من المؤرخين أن سبب مقتل "ابن هود" أنه تنازع هو ونائبه ووزيره في "المرية" محمد الرميمي، وكان سبب التراع جارية نصرانية؛ كل منهم يريدها لنفسه؛ والعدو يتربص بهم!! فقام الوزير ودس مَن قتل ملك المسلمين؛ أحد ملوك الطوائف "ابن هود"، بسبب جارية نصرانية**!!**

ويقول عبد الله عنان في "نهاية الأندلس": لم يلبث أبو الحسن –وهو من آخر ملوك بني الأحمر ومن آخر زعماء غرناطة– أن ركن إلى الدعة وأطلق العنان لأهوائه وملاذه، وبذر حوله بذور السخط والغضب، بما سار به في شئون الرعية والدولة، وما أثقل به كاهلهم من صنوف المغارم وما أُغرق فيه من دروب اللهو والعبث، **وهكذا عادت عوامل الفساد والانحلال والتفرق الخالدة، تعمل عملها الهادم، وتحدث آثارها الخطرة**. ثم يقول: ذلك أن أبا الحسن ركن في أواخر أيامه إلى حياة الدعة، واسترسل في أهوائه وملاذه، واقترن للمرة الثانية بفتاة نصرانية رائعة الحسن..

ولهذا حل بالأندلس ما حل بها، وانشغل المسلمون في بناء القصور، وبناء الدور، وبناء المزارع والبساتين؛ وعدوهم يعبث، ويعمل عمله الرهيب حتى أتاهم على حين غرة.

لقد دخلنا الأندلس عندما كان نشيد طارق في العبور: (الله أكبر)، وبقينا فيها زمنا بهمة عبد الرحمن الداخل، الذي قُدم إليه الخمر ليشرب؛ فقال: إنني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه. فعرف الناس من ذلك قدره. ولما أُهديت إليه جارية حسناء، قال بعد أن نظر إليها: إن هذه الجارية من القلب والعين بمكان، فإن أنا انشغلت عنها بمهمتي ظلمتها، وإن لهوت بها عن مهمتي ظلمت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مهمتي. ومهمتي الجهاد. لا حاجة لي بها الآن.. فقالوا: إن الأمير ذو همة.. ولهذا بقينا في الأندلس..

ولكن متى أضعنا الأندلس؟ أضعنا الأندلس عندما شاع الغناء وذاع، حتى كان المسلمون يرددون مع المغني:

على الدنيا وساكنها السلام إذا ما الوجد لم يبرح فؤادي

وفعلا ذهبت الأندلس، وراحت وعليها السلام!

ومن العجائب التي يذكرها المؤرخون أن الإفرنج عندما قصدوا "بلنسية" لغزوها عام ستة وخمسين وأربعمائة هجرية، خرج أهلها للقائهم بلباس الزينة!! العدو جاء ليقاتل، ويخرج أهل "بلنسية" للقاء العدو بثياب الزينة.. فكانت الهزيمة المنكرة، ولا بد! حتى قال الشاعر:

لبسوا الحديدَ إلى الوغى ولبستموا حُلَلَ الحريرِ عليكمو ألوانا ! [1]

هذه حالة مؤسفة عندما يغرق المسلمون في الشهوات.. في الملذات.. في المعاصي.. فلا يُرجى نصر في هذه الحالة..!!

ومرت السنون ولم يتعلم المسلمون الدرس؛ ففي أعقاب الكارثة المدمرة في الخامس من يونيو 1967 وقفت أم كلثوم تغني للمترفين، والدم البريء يسيل علي كل رابية، والعار الأسود يجلل جباه المخدرين: "هذه ليلتي وحلم حياتي"..! ولعل هذا الضياع الذي أصاب الأمة، وهذا الخدر الذي سرى في أعصابها هو الذي دعا صحفيا إلى القول في صحيفته البيروتية مباهيا دون خجل: "إني أعرف مكانة أم كلثوم عند العرب، وأعرف كذلك أن حب الكثيرين لها يوازي حبهم لفلسطين"..!!!

يا أمةً يَسمو بها تاريخُها ... ويَسوقُها نحوَ الضياعِ الواقعُ

[1] الأمراض التي أدت لسقوط الأندلس: طارق عبده إسماعيل (باختصار وتصرف)

This file was downloaded from QuranicThought.com

يا أمةً تُصغي إلى أهوائها ... وتَسدُّ سمعًا حينَ يَصدعُ صادعُ
يا أمةً ما زلتُ أسألُ حالَها ... عنها فتَنطِقُ بالجوابِ فواجِعُ
ما لي أراكِ فتحتِ أبوابَ الهوى ... وقَبلتِ ما يدعو إليهِ الطامعُ
يَمَّمْتِ غربًا شرقُ وفي يدِكِ ... الدواءُ الناجعُ
والحقائقُ كلُّها ... عميَ البصيرُ بها وصُمَّ السامعُ [2]
وإذا أرادَ اللهُ نَزعَ ولايةٍ

% % %

أخطر داء يودي بحياة الأمم:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:116]

أي اتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه من الهوى والشهوات بكل أنواعها؛ شهوة السلطان والجاه، وشهوة الاقتراب من الحكام والازدلاف إليهم، وشهوة التحكم في الضعفاء، وشهوة الأثرة.. وفي الجملة: الترف كل ما يُتنعم به من مادة، ومن أمور أخرى.

والترف والأثرة متلازمان؛ فحيثما كان الترف كانت الأثرة؛ لأن مَن يطلب النعم لا يهمه إن كان من طيب أم كان من خبيث، وأكان باعتداء أم كان من غير اعتداء. وإن المترفين الأثرين هم دعاة الشر دائما..

(**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ**): (**اتَّبَعَ**) أي طلبوه، وساروا وراء الترف لا يلوون عنه. وذكر أنهم (**ظَلَمُوا**) أي تجاوزوا الحد، واعتدوا، ودفعهم ظلمهم إلى هذا الاتباع. فقد اتبعوا الترف وشهوات الترف، فهذا كقوله: ﴿**وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ**

[2] من قصيدة "الأمل القادم" للشاعر/ عبد الرحمن العشماوي

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا↑ [مريم:59]

ولقد وصفهم سبحانه وتعالى مسجلا عليهم الإجرام والآثام، فقال: (**وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**) أي استمروا في ماضيهم متجمعين على الإجرام، حتى صار الإجرام وصفا ملازما لهم.

وإن هذا الإجرام، والسكوت عن النهي عن الفساد، وترك الأشرار يرتعون، وترك الظالمين يترفون.. يجعل الأمة كلها فاسدة وظالمة، وبذلك تهلك؛ ولذا قال تعالى:

↓وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُون↑ [هود:117]

وإنه قد حق على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ما نزل بهم؛ لأن الظالم يظلم ويجد الكثرة الكاثرة تؤيده وتنصره على المظلومين، وتصفه بالحكمة والعدل والعبقرية! حتى اختلطت على الناس الألفاظ والحقائق!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.[1]

(**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَكانُوا مُجْرِمِينَ**) أي واتبع الظالمون وهم الأكثرون ما رزقناهم من أسباب الترف والنعيم؛ فبطروا واستكبروا وصدوا عن سبيل الله، وكانوا ذوي جرائم بما ولَّده الترف والنعيم؛ فكان هو المسخِّر لعقولهم، وبذا رجَّحوا ما أُوتوا على اتباع الرسل.

وخلاصة ذلك: إن العقول السليمة كافية لفهم ما في دعوة الرسل من الخير والصلاح؛ لو لم يمنع استعمال هدايتها الافتتان بالترف والنعيم؛ بدلا من القصد والاعتدال فيه وشكر المنعم عليه.

وقد هدت التجارب إلى أن الترف هو الباعث على الفسوق والعصيان والظلم والإجرام، ويظهر ذلك في الرؤساء والسادة، ومنهم ينتقل إلى الدهماء والعامة؛ فيكون ذلك سببا في الهلاك بالاستئصال، أو في فقد العزة والاستقلال، وتلك

---

[1] زهرة التفاسير

This file was downloaded from QuranicThought.com

هي سنة الله في خلقه، كما قال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:16][1]

قال د. عبد الله عزام /: لقد رأيت أن أخطر داء يُودي بحياة الأمم هو داء الترف الذي يقتل النخوة ويقضي على الرجولة ويخمد الغيرة ويكبت المروءة.

وقال حكماء صهيون في البروتوكول السادس:

سنشجع حب الترف المطلق، إن ما تقدمه أدوات التسلية والترفيه من مسرحيات ومسلسلات وأغانٍ ومباريات صارت تشكل الآن قسطاً كبيرا من الدعوة إلى إشاعة الانحلال الخلقي من جهة والمسخ الفكري العقائدي من جهة أخرى.

وفي البروتوكول الثالث عشر:

ولكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها ولا ما يراد بها؛ فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج والمسليات والألعاب وضروب أشكال الرياضة واللهو؛ للملذات والشهوات والإكثار من القصور المزوّقة والمباني المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية، ومن كل جنس؛ فتتوجه أذهان الناس إلى هذه الأمور، وتنصرف عما هيأناه فنمضي به إلى حيث نريد؛ فيسلم موقفنا، وهو الموقف الذي لو أعلناه بارزا مكشوفا بغير اصطناع هذه الوسائل الملهية؛ لوقعنا في التناقض أمام الجماهير. ثم إن الجماهير بحكم ما ألفته واعتادته من قلة التفكير داخل آفاقها النفسية، ولا قدرة لها على الاستنباط تراها شرعت تقلدنا، وتنسج على منوالنا

[1] تفسير المراغي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في التفكير؛ إذ نحن وحدنا مَن يقدم إليها المناحي الفكرية.. وطبعا لا يكون هذا إلا على أيدي أشخاص لا شك في إخلاصهم لنا.

وقد نجحوا في إلهاء الجماهير المسلمة بكثير من المخازي، بينما يحتاطون مع أبناء جلدتهم؛ حتى لا يفلت من أيديهم زمام الريادة..

هذا "بيل جيتس" يعنف ابنته ذات الأعوام العشرة عندما وجدها تستخدم الكمبيوتر والإنترنت أكثر من اللازم قائلا: "ليس معنى أنك ابنة بيل جيتس صاحب شركة ميكروسوفت أن بأمكانك اللعب بالكمبيوتر طوال اليوم"!

وقال أمام اجتماع لرجال الأعمال في "أوتاوا": "أظهرت نهما شديدا، ووجدت العديد من الألعاب، منها لعبة يطلق عليها ***Viva Pinata*** تعمل ببرنامج ***Xbox*** حول العناية بالحديقة". وتابع: "تقضي ساعتين أو ثلاث ساعات يوميا في هذه اللعبة لأنها مزيج من التعامل والمرح".

جيتس وزوجته ميلندا قررا تحديد خمس وأربعين دقيقة فقط كحد أقصى يوميا لابنتهما للعب على الكمبيوتر؛ لأنها في الفترة الأخيرة أظهرت اهتماما شديدا باللعب على الكمبيوتر وأهملت فروضها المدرسية (!!!)

فانظر إلى أولئك اللئام يصنعون الملاهي وأدوات الترفيه ويصدرونها إلينا لتضيع الأوقات والأعمار والأموال، وتتخدر النفوس، وتستشري البلادة، ويصير خور النفوس عادة.. بينما هم يضعون القواعد الحازمة لأبنائهم حتى لا ينشغلوا بتوافه الأمور، ويحافظوا على مجد أمتهم!!

وقد أمددناهم بالأسباب التي تساعدهم في الوصول إلى تحقيق مآربهم الخبيثة!! فإن فنون المتع التي استوردناها من الغرب خلال الخمسين سنة الأخيرة تكفي لتدمير أمة ناهضة فكيف بأمة عليلة!

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيا عباد الله..

إن أمة تنفق الملايين في الشهر علي القهوة والدخان، وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة، وتنفق أمثال ذلك كله على الكماليات

التي تنقص الحياة ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها داعي العلم لما يحييها؛ لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرفاتها.[1]

فلنعتبر بما نراه في الأمم العزيزة الجانب التي ينفق أفرادها في إعلاء شأنها بنشر العلوم والمعارف وتأليف الجماعات الخيرية التي تقوم بها المصالح العامة، ولنوازن بين هؤلاء وبين كبراء الأمم التي ضعفت وذلت بإهمال الإنفاق في المصالح العامة، نجد صعاليك الأولين ذوي عزة ومنعة لا يجاريهم فيها ثراة الآخرين.

(وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) لا ينحصر فضله، ولا يُحَد عطاؤه، وهو عليم بمن يستحق المضاعفة كالمنفقين في إعلاء شأن الحق، وتربية الأمم على آداب الدين وفضائله التي تسوقهم إلى سعادة المعاش والمعاد، حتى إذا ما ظهرت آثار ذلك في قوة ملتهم وسعادة أمتهم جنوا من ذلك أجل الفوائد وعاد ذلك عليهم بالخير الوفير. **[تفسير المراغي]**

% % %

عندما يغلب بريق المادة إشعاعات الإيمان:

عن أبي سعيد الخدري **ت** أن رسول الله **خ** قال: "**إنَّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وإنَّ اللهَ مُستَخلِفُكم فيها فينظرُ كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ فإنَّ أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النساءِ**". **[رواه مسلم]**

---

[1] كلمة للعلامة محمد البشير الإبراهيمي (نقلا عن: سبيل المتقين لعودة الأقصى وفلسطين)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعن أبي سعيد الخدري ت أن النبي خ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: " **إني مما أخافُ عليكم مِن بعدي ما يُفتَحُ عليكم مِن زَهرةِ الدنيا وزينتِها..**" [رواه البخاري]

وفي صحيح البخاري أن أبا عبيدة قدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي خ، فلما انصرف تعرضوا له فتبسَّم رسول الله خ حين رآهم، ثم قال: "**أظنُّكم سمعتم أنَّ أبا عبيدة قدمَ بشيءٍ**". **قالوا: أجل يا رسول الله! قال: "فأبشِروا وأمِّلُوا ما يَسُرُّكم، فواللهِ ما الفقرَ أخشَى عليكم ولكني أخشَى أنْ تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ على مَن كان قَبلَكم فَتَنَافَسُوها كما تَنَافَسُوها وتُهلِكَكم كما أهلكَتْهم**".

يقول الشيخ/ أبو جرة سلطاني: [إن الفقر شيء مؤسف، وحال متعب، بل يقترب في معناه من عتبات الكفر.. ولكن فتنة الغنى أخطر على أهل الإيمان من محنة الفقر.. والبلاء بزهرة الدنيا أشد على حياة الأفراد والجماعات من بلوى الفقر والفاقة والمسغبة.. وما أشد بلوى الجاه والمال والسلطان!!

وما أشبه الليلة بالبارحة! فقد قضى الصحابة عليهم الرضوان أربعة عشر سنة ونصف في بلاء مبين بالفقر والعذاب والإخراج من الأهل والمال والديار؛ فما لانت لهم قناة، وما اختلفوا حول مبدأ، ولا تنافسوا من أجل مصلحة، وما اشتكوا من ضيق، وما قال أحد لأحد: مِن أين لك هذا؟!

فلما نصرهم الله ببدر، وساق لهم مغانم من زهرة الحياة الدنيا؛ اختلفوا فيها وساءت فيها أخلاقهم، وتساءلوا: كيف نقسم هذه المغانم؟! ماذا يأخذ الفارس وماذا يأخذ الحارس؟! وعرضوا الأمر على رسول الله خ كون ما ساقه الله لهم من الأنفال -بعد نصر مؤزر- يحدث لأول مرة في مسار تحول من ابتلاء بفقر إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ابتلاء بمال.. ومن طور تأسيس قائم على ترسيخ العقيدة وربط محكم بالله جل جلاله، وتعريف يسبق التكوين، وتكوين يسبق التمكين.. وهو مسار محفوظ في تاريخ الدعوات، وفي تراتبية الحركات الإسلامية كلها.

ولأن الرسول خ نفسه لم يكن يعرف في تلك اللحظة الجواب الدقيق على مسألة طارئة؛ فقد انتظر الوحي.. ونزل الوحي بالقول الفصل الذي يسري مفعوله على الرعيل الأول في القرن الأول، وعلى مَن يليهم في القرون المتتالية، إلى القرن الواحد والعشرين وما بعده.. قال الوحي وهو يعرض حالة الخلاف الطارئ على طبيعة حركة ناشئة مضى عليها بضعة عشر سنة: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾** [الأنفال:1] الدنيا فَتحت عليكم اليوم زهرتها بعد الصبر والاحتساب، وهاهم أصحابك المؤسسون يسألونك: كيف يقتسمون المغانم؟ وكيف ينال كل واحد منهم حظه من المكاسب؟ وما هو حظ كل فرد منهم من الريوع؟!

والجواب –أمس واليوم وغدا– واحد لا يتغير: اتركوا هذه المسألة جانبا.. تخلوا عن الأطماع، وانسوا المكاسب، وازهدوا في فضلة الدنيا، وتابعوا زحفكم الخالص بتجرد وأخوة وتضحية؛ لإتمام رسالتكم والتمكين لمشروعكم في النفوس وفي الواقع..

حذار من الانحدار من علياء الدعوة إلى حضيض الدنيا.. حذار من سقوط مريع من عزة المبادئ إلى مذلة المصالح.. إياكم وزهرة الحياة الدنيا التي لا يجتمع حولها إلا ذباب الفضول، ولا يتكدس عليها إلا نحل السكريات السياسية، وهوام عسل الأحزاب والانتخاب.. اتركوا موضوع الغنائم والأنفال لله والرسول، واهتموا بما هو أهم من هذه المنافسات المفسدة للقلوب، المدمرة للأخلاق، المقزمة للهمم..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

↓قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ↑ [الأنفال:1] نعم.. كل هذه الغنائم التي ساقها الله إليكم –من غير حول منكم ولا قوة– هي في الأصل لله تعالى الذي يفوض أمرها للرسول و(للقيادة) توجهها إلى ما يخدم المشروع وليس إلى ما يخدم مصالح بعض الناس.. أما أنتم فرسالتكم أهم من الغنائم، وأرفع من المصالح، وأزكى من الريوع.. رسالة محكومة بالنقاء والصفاء والإخلاص والوفاء.. رسالة عاجل أمرها ثلاثة:

↓فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ↑ [الأنفال:1]

(فَاتَّقُوا اللَّهَ): لتعصموا أنفسكم من الشهوات والشبهات.

(وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ): ليقوى صفكم، وتتوحد كلمتكم، وتتوالى انتصاراتكم.

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ): فبطاعتهما فتحت كنوز الأرض للأولين، وتهاوت بين أيديهم قصور كسرى وقيصر.. وبطاعتهما يُصلح الله حال هذه الأمة بما صلح به أولها.

وكل ذلك لا ينفع صاحبه ولا أصحابه من القائمين والقاعدين والحاقدين والناقدين.. بل لا تقطف الجماعة ثماره إلا إذا تم ضمن دائرة الإيمان الحق: **↓إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ↑** [الأنفال:1]

ولكي تعرفوا درجة إيمانكم، فلابد أن تكون قلوبكم مطمئنة بذكر الله، بل هي وجلة خائفة من يوم الحساب، ويزيدها القرآن إيمانا وثقة بما عند الله؛ فتسبح النفس في فضاءات الكون الفسيح مشتاقة إلى الجنة، زاهدة بما في أيدي الناس، منفقة من غير خوف من فقر ولا وجل من فاقة.. فالرزاق هو الله، وما عند الله خير للأبرار.. (**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**).. (**لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**) في واسع الجنات، (**وَمَغْفِرَةٌ**) من كل ذنوبهم قبل حسن الخاتمة، (**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**) لا يتدنس بالمطامع ولا تعفنه الريوع على حساب المبادئ..

وبعد هذه المقدمة الرائعة يأتي الجواب الكافي: فكأن الله تعالى يقول:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إذا أنهيتم المرحلة المكية (أو مرحلة التأسيس) بنجاح، وهاجرتم لله تعالى فارين بدينكم، تاركين وراءكم الأرض والمال والولد، وصبرتم على بلوى الفقر والفاقة.. فاعلموا أن فتنة زهرة الحياة الدنيا أخطر عليكم وعلى دعوتكم من فتنة السلب والنهب والظلم والحرمان..

فاذكروا حالكم قبل التمكين كيف كنتم؟ واذكروا وضعياتكم الاجتماعية قبل أن تفتح عليكم الدنيا زهرتها.. تذكروا كيف كنتم.. وكيف أصبحتم؟ كيف كانت جيوبكم فارغة، ولكن قلوبكم كانت عامرة بالإيمان.. وها هي اليوم الجيوب ممتلئة بالمغانم وبالمكاسب؛ والقلوب تكاد تكون فارغة من الإيمان!!

هكذا عالج القرآن الكريم ظاهرة التساؤل عن الغنائم.. فقد رد الصحابة رضوان الله عليهم إلى بداية الطريق؛ في حديث طويل لا مجاملة فيه لأحد:

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ): فالناس لا تحب الخروج للمواجهة.. وإذا ما خيروا بين المواجهة والريوع؛ يختارون المغانم والمكاسب والمواقع والخلود إلى الراحة، ويرفضون كل أشكال المنازلة؛ حتى لو كانت مجرد مناوشات سلمية تدخل في إطار التدافع للتمكين لأصول الدين ولأهداف وغايات المشروع المقرر بنصوص القرآن الكريم.

ويميل الناس كذلك إلى الدعة والحياة المرفهة **(وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم)**.. والحق عير ونفير.. شوكة وغنائم.. والتمكين للدعوة ربح وخسارة.. وضريبة النصر صبر وإعداد ومواجهة ولحظات استراحة بانتظار الزحف..

وليس شرطا أن تكون المواجهة عسكرية؛ فساحات المواجهات تعددت وتنوعت واتسعت جبهاتها.. وتراجع أبناء الإسلام عن حراسة ثغور النفير إلى تصيد أخبار العير، وتسقّط همسات النافعين والنافذين؛ إلى حد الانفضاض عن الدعاة وتركهم قائمين كلما رأى هؤلاء الأقوام تجارة أو لهوا من ريوع الدنيا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومنافع الخلطة ومضارها ومكاسب ترك الثغور بلا حراسة..

هنا –وفي هذه اللحظات المفصلية– يأتي التذكير صارما:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:20]

ومادمنا في زماننا هذا نزعم السماع الواعي؛ فهناك أمر بالغ الأهمية للوقاية من مرض خطير يسمى الإصابة بإيدز زهرة الحياة الدنيا، أو قل ببساطة: عدوى تحسين ظروف المعيشة ولو على حساب الدعوة والمنهج والرسالة..

لذلك وجب أولا أن يصغي الجميع لهذه التوجيهات الربانية المنجية من هلاك الأفراد وذهاب ريح الجماعات:

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:24-25]

وتبدأ –بعد هذه الموعظة التذكيرية البليغة– الوصفة القرآنية الثانية لمعالجة داء الانبهار بالمكاسب والمنافع والريوع التي يقع فيها بعض الناس على حساب دعوتهم ورسالتهم وغايتهم التي من أجلها خلقوا ولأجلها يعيشون وبسببها نظمت جهود العاملين في كل فضاءات الحقل الإسلامي.

إنها –باختصار ودقة– التدرب على إتقان واجب إمعان النظر في المرآة العاكسة لكل فرد ينسى ماضيه كيف كان؟ وكيف تحولت نيته من خدمة الدعوة وتسخير حياته لخدمة الرسالة إلى نية تحسين ظروف الحياة وضمان المستقبل للزوجة والأولاد والأحفاد.. ولو كان ذلك على حساب الرسالة والدعوة والغاية، بل لو كان ذلك المكسب بتخطي رقاب الجالسين، ويتسبب في إذايتهم باليد واللسان!!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ها أنتم اليوم منتصرون في بدر.. وها هي الغنائم أمامكم بعد أن كانت ملكا لأعدائكم؛ فورثتموها.. وها هي نية القيام بالواجبات تسبقها نية المطالبة بالحقوق: أعطني؛ فإنه ليس مال أبيك؟! وها أنتم هؤلاء تنسون كيف بدأتم مشواركم مع هذه الدعوة، وكيف كانت بداية الطريق، وكيف كان حالكم يوم التقطتكم هذه الحركة الرسالية من واقعكم القديم: بلا هدف واضح، ولا مال ولا جاه ولا زواج، ولا سكن ولا سيارة.. ولا علاقات.. بل هو إقبال على الدعوة بإخلاص، وبذل بغير مقابل، وعطاء للدعوة بلا جزاء ولا شكور.. والخدمة المجانية للدار الآخرة.. فكيف تغيرت الأحوال والأصول، وتبدلت القلوب والنفوس، وفسدت النيات والسرائر.. وصرنا نطلب من الآخر خدمتنا بعد أن كنا نتودد له لخدمته..!! ونطلب من الدعوة حملنا بعد أن كنا رواحلها..!! ونلتمس من الحركة إعطاءنا (حقوقنا) دون أن نقدم لها واجبات الولاء؛ فروض السمع والطاعة في المنشط والمكره..!! ونتساءل -كلما حلت بنا هزيمة- أنَّى هذا؟! والواقع أننا ما قدمنا للدعوة جهدا، ولا للناس بذلا وعطاء..!!

أنتم.. ونحن.. وهؤلاء.. وأولئك.. دبّ لنا داء الأمم بما فتح الله علينا من زهرة الدنيا وزينتها.. وإذن لابد من توبة وتذكير بالبدايات الأولى:

توبوا إلى الله.. (**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**).. هذه هي البدايات إذا كنتم قد نسيتم: نعم..كان قليلا عددكم.. مستضعفون بين الناس في كل الأرض.. تخافون أن يتم اختطافكم؛ وبعدها المصير معروف! (**فَآوَاكُم**) الله بأن هداكم لهذا الدين، (**وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ**) لما جمعكم ضمن منهج وسطي معتدل، (**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**) دون أن يكون ذلك على حساب دعوتكم ومنهجكم ورسالتكم الأساسية التي صنعت منكم رجالا،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وجعلتكم بين الناس رموزا وأرقاما ذات وزن في معادلة الصراع.. كل ذلك (**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)..

والشكر هنا درس طويل له حدود عميقة الجذور.. تبدأ بتجديد التوبة، وتنتهي إلى ضفاف الإيثار، ومنها:

الحذر من الخيانة بكل معانيها: خيانة القرآن.. خيانة السنة.. وخيانة المنهج.. وخيانة الذين عاهدتم -عن طواعية نفس ووعي عقل وطيب خاطر- على السمع والطاعة في المنشط والمكره.. **↓يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ↑** [الأنفال:27]

وكل ما يشغلكم من أمور الدنيا عن الدعوة والرسالة والهدف الكبير والمقصد الأسمى.. كلها أجزاء من الفتنة المؤدية إلى الخيانة بيقين العلم المنزل:

↓وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ↑ [الأنفال:28]

هكذا بهذا الوضوح.. وهكذا بهذه الصراحة. أنتم فتنة لأنفسكم؛ فانتبهوا.. أموالكم.. أولادكم..كل ما يلهيكم عن رسالتكم فتنة؛ فانتبهوا.. فرياحكم اشتدت اليوم في (بدر) فانتبهوا.. فبعد (بدر) (أُحد)..!! وبعد كل انتصار انكسار.. وإذا طابت لكم رياح الإبحار، وجرين بهم بريح طيبة، وفرحوا بها؛ جاءتها ريح عاصف.. وجاءهم الموج من كل مكان.. هكذا هي طبيعة الحياة.. بعد كل عسر يسر، وبعد كل ضيق فرج، وبعد كل ريح طيبة ريح عاصف..

فيا عباد الله..

- **سفينتكم قد تغرق وأنتم عنها لاهون بأموالكم وأولادكم؛ فانتبهوا..**
  ↓وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ↑ [يونس:22]
- **انتبهوا فقد بدأ يحاط بكم.. وما عند الله خير لكم.. ↓فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ↑** [يونس:23].. **وهذه غفلة أخرى!!**

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

❖ **توبوا من غفلتكم، وجددوا عهدكم مع ربكم، واتقوه حق تقاته؛ (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) بين حقكم وباطل الآخرين، (وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) والسيئات هنا معناها السقوط في المغانم والغنائم والريوع والمكاسب، (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)..**

وبعد أربعين آية كاملة –من مقدمة سورة الأنفال– كل سياقاتها بدرية، تتحدث عن مثل هذه المعاني، وتذكر بالبدايات قبل بدر (طور التأسيس) يأتي الجواب عن السؤال المطروح في بداية السورة: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ**).. ماذا لنا من الغنائم بعد الانتصار الأول في بدر؟!

ويأتي الجواب –بعد هذا البسط الطويل– واضحا مستقيما: **↓وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ↑**.. فأين هذه الأصناف من تفكيرنا؟ وهل في غنائمنا خمس لهؤلاء؟ أم أننا عن هذه الحقائق غافلون؟!

ما ساق الله لكم من مكاسب ومغانم دنيوية؛ فاجعلوا خُمسه لله وللرسول.. نعم.. خُمس هذه المغانم يذهب من أيديكم إلى أيدي ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.. فأين هذا الفقه القرآني من ممارسات الذين فتحت عليهم الدنيا زهرتها، وبدأ التنافس منهم لأنفسهم؟! ليس فيه قطمير لله ولا ذرة لرسوله!! مع أن كلمة (خُمس) تعني رياضيا (20 %) مما أفاء الله علينا.. حرام علينا، حلال على هؤلاء.. يسلم بيد رسول الله؛ طاعة لله تعالى، وإنفاذا لأوامره؛ تماما كما كان في الذين مِن قبلهم.. ولأن سنن الله لا تحابي؛ فإن المصير معلوم: فتهلكوا كما هلكوا..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتأتي الخاتمة مذكرة بالمعادلات القرآنية الماضية في السابقين واللاحقين؛ تاركة الحل بأيدينا نحن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:53]

هذا في داخل الصف؛ في الزمن الأول؛ في القرن الأول؛ في يوم بدر الأولى.. واليوم وغدا هو ذات الخطاب ونفس المصير.. والنهايات كالبدايات واحدة لا تتغير.. فسنن الله واحدة في السابقين وفي أمثالهم من اللاحقين.. ونحن منهم..

أما في المحيط الإقليمي والدولي؛ فالله يتولاه: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم﴾ [الأنفال:62-63]

واليوم زهرة الدنيا مفتوحة للجميع بغير جهد مبذول، ولا سيف مسلول..
وقد جاء يوم أُحد بعد بدر الأول في الزمن الأول في القرن الأول؛ فانكسر الصف جراء المخالفات وبعض الأطماع.. وتداركه الله بلطف..
وسوف يأتي يوم أُحد بعد بدر الثانية في الزمن الثاني في القرن الواحد والعشرين.. فينكسر الصف وليس فينا رسول الله
فمَن يضمن رتقا بعد فتق؟! ومَن يحمي ثغورنا
إذا انكسرت رباعيات أقوام كثيرين؟!

والعاصم هنا –بعد الله تبارك وتعالى– طاعة وترك نزاع: (**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**).. ولا طاعة لطامع، ولا شفاء من داء التنازع لطامح بلا حدود ولا عدة ولا عتاد.. غير أن الصبر مفتاح الفرج (**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**).. [1]

إن [قصة (الغنيمة) في تاريخنا غريبة، والدرس الذي تلقيه علينا كذلك أغرب!!

[1] فتحت عليكم الدنيا زهرتها: مقال للشيخ/ أبو جرة سلطاني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لقد بدأت أولى هزائمنا بسبب الغنيمة، ولقد وقفنا مرغمين –عند آخر مدى وصلت إليه فتوحاتنا بسبب الغنيمة– كذلك!!

فقصة الغنيمة.. هي قصة الهزيمة في تاريخنا.

كان قائد المعركة الأولى هو الرسول ﷺ.. وخالف الرماة أمره، وخافوا من أن تضيع فرصتهم في الغنيمة.. فكانت (أُحد) وشهد الجبل العظيم استشهاد سبعين رجلا من خيرة المسلمين بسبب الغنيمة.. نعم بسبب الغنيمة!!

وكان قائد المعركة الأخيرة "عبد الرحمن الغافقي" آخر مسلم قاد جيشا إسلاميا منظما لاجتياز جبال البرانس، ولفتح فرنسا، وللتوغل –بعد ذلك– في قلب أوروبا.

وهُزم الغافقي.. سقط شهيدا في ساحة "بلاط الشهداء" إحدى معارك التاريخ الخالدة الفاصلة.. وتداعت أحلام المسلمين في فتح أوربا، وطووا صفحتهم في هذا الطريق.. وكان ذلك لنفس السبب الذي استفتحنا به دروس الهزيمة.. أعني بسبب الغنيمة.

ومنذ تم الاستقرار في المغرب العربي وإسبانيا الإسلامية، وهم يطمحون إلى اجتياز جبال البرانس وفتح ما وراءها. هكذا أراد "موسى بن نصير"، لكن الخليفة "الوليد بن عبد الملك" خشي أن يغامر بالمسلمين في طريق مجهولة. ثم فكر على نحو جدي "السمح بن مالك الخولاني" والي الأندلس ما بين عامي (100-102) هـ وتقدم فاستولى على ولاية "سبتماية" إحدى المناطق الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط جنوب فرنسا، وعبر بذلك "السمح" جبال البرانس، وتقدم فنزل في أرض فرنسا منعطفا نحو الغرب حيث مجرى نهر الجارون، مستوليا في طريقه على ما يقابله من البلدان، حتى وصل إلى "تولوز" في جنوب فرنسا.. لكن لم يستطع أن يستقر فيها. وقُتل "السمح"، وتراجعت فلول جيشه تحت قيادة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحد قواده "عبد الرحمن الغافقي؛" فكأن "السمح" لم ينجح إلا في الاستيلاء على "سبتماية".

وقد كان عبد الرحمن الغافقي الشخصية الحاسمة التي أرادت التقدم نحو أوربا وحرصت عليه، وكان عبد الرحمن مشبعا بروح الإيمان والرغبة في الثأر لما أصاب المسلمين من قبل حين قُتل "السمح"، وحين رجع هو بالجيوش الإسلامية إلى "سبتماية". وقد أعلن الغافقي الدعوة للجهاد في الأندلس كلها وفي أفريقية، وجاءته وفود المتطوعين من كل مكان، كما أنه من جانبه استعد استعدادا كبيرا لهذا الغزو.

والتقى المسلمون –عربا وبرابرة– بالمسيحيين بين بلدتي: "تورو" و"بواتيه" على مقربة من باريس، وكان قائد النصارى "شارل مارتل" وزير دولة الفرنجة وأمين القصر، بينما كان "عبد الرحمن الغافقي" يقود جيوش المسلمين.

وكانت المعركة شديدة قاسية استمرت قريبا من سبعة أيام، وكان الجيش الفرنجي وحلفاؤه أكثر من جيش العرب، لكن المسلمين أحسنوا البلاء في القتال، وكاد النصر يتم لهم.. لولا أن ظهرت (الغنائم) !!

لقد عرف المسيحيون أن لدى الجيش الإسلامي غنائم كثيرة حصل عليها من معاركه أثناء تقدمه من قرطبة حتى "بواتيه".. وقد أثقلت هذه الغنائم ظهور المسلمين؛ وكان من عادة العرب أن يحملوا غنائمهم معهم؛ فيضعوها وراء جيشهم مع حامية تحميها.

وقد فهم النصارى هذا، ونجحوا في ضرب المسلمين عن طريق التركيز على هذا الجانب؛ لقد شغلوهم من الخلف؛ من جانب الحامية المكلفة بحراسة الغنائم.. ولم يفطن المسلمون للتخطيط النصراني؛ فاستدارت بعض فرقهم لحماية الغنائم.. وبالتالي اختل نظام الجيش الإسلامي.. ففرقة تستدير لحماية الغنائم، وأخرى تقاتل النصارى من الأمام..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعبثا حاول عبد الرحمن الغافقي إنقاذ نظام الجيش الإسلامي، إلا أن سهما أصابه وهو يبذل محاولاته المستميتة؛ فوضع حدا لمحاولات الإنقاذ، وأصبح جيش المسلمين دون قيادة.. وتقدم النصارى فأخذوا بخناق المسلمين من كل جانب، وقتلوا من جيشهم الكثير!!

لقد كانت "بلاط الشهداء" سنة 114 هـ آخر خطوات المد الإسلامي في اتجاه أوربا، أو على الأقل آخر خطواته المشهورة. ثم توقف المد.. لأن بريق المادة غلب على إشعاعات الإيمان!! والذين يسقطون في هاوية البحث عن الغنائم لا يمكن أن ينجحوا في رفع راية عقيدة أو حضارة] [1]

وإذا ما تأملنا أسباب سقوط دولة المرابطين ندرك أن حب الدنيا كان السبب الرئيس:

- فقد ظهرت روح الدعة والانغماس في الملذَّات والشهوات عند حُكَّام المرابطين وأمرائهم في أواخر عصر علي بن يوسف، وكان للمجتمع الأندلسي تأثير لا ينكر في قادة وأمراء وحكام دولة المرابطين الذين استجابوا لنزوات شهواتهم وانغمسوا في الحياة الدنيا، فتحقَّق قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء:16].
- وانتشر السفور والاختلاط بين النساء والرجال، وبدأت دولة المرابطين في آخر عهد الأمير علي بن يوسف تفقد طُهرَها وصفاءَها الذي اتصف به جيلهم الأول، مما جعل الرعية المسلمة تتذمر من هذا الانحراف والفساد، وتستجيب لدعوة مُحَمَّد بن تومرت الذى أظهر نفسه للناس بالزاهد

[1] دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية: د. عبد الحليم عويس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والنَّاسك والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

❖ يرى بعض المؤرخين أن التعصب الأعمى عند فقهاء المرابطين في زمن الأمير علي بن يوسف كان السبب الأول في سقوط دولة المرابطين، فقد أسهم فقهاء المالكية في دولة المرابطين بقسط وافر في تذمر الرعايا، وإضعاف شأن الإمارة..

فقد استغل بعض الفقهاء نفوذهم من أجل جمع المال، وبناء الدور، وامتلاك الأرض. وعاشوا حياة البذخ والرفاهية المفرطة، وكان ذلك سببًا في إيجاد ردة فعل عنيفة عند أفراد المجتمع المرابطي.

❖ ومن أهم العوامل التى أنهكت دولة المرابطين، أنها مرَّت بأزمة اقتصادية حادة، نتيجة لانحباس المطر عدة سنوات، وحلول الجفاف والقحط بالأندلس والمغرب، وزاد من حدة الأزمة الاقتصادية أن أسراب الجراد هاجمت ما بقي مِن الأخضر على وجه البلاد مما هيأ الظروف لانتشار مختلف الأوبئة بين كثير مِن السكان.

وكانت تلك عقوبة الله لهم؛ جزاءً وفاقا..

% % %

متى كانت الدنيا في يدك وليست في قلبك لم تضرك:

عن سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبي **خ** رجل فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال رسول الله **خ**: "**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك**". [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني]

قال المناوي في فيض القدير: [(**ازهد**) من الزهد: الإعراض عن الشيء احتقارا، وشرعا الاقتصار على قدر الضرورة مما يتيقن حِله. وقيل: أن لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(في الدنيا) باستصغار جملتها واحتقار جميع شأنها؛ لتحذير الله تعالى منها واحتقاره لها. فإنك إن فعلت ذلك **(يحبك الله)** لكونك أعرضت عما أعرض عنه ولم ينظر إليه منذ خلقه. وفي إفهامه أنك إذا أحببتَها أبغضك؛ فمحبته مع عدم محبتها؛ ولأنه سبحانه وتعالى يحب من أطاعه. ومحبته مع محبة الدنيا لا يجتمعان؛ وذلك لأن القلب بيت الرب فلا يحب أن يشرك في بيته غيره. ومحبتها الممنوعة هي إيثارها بنيل الشهوات؛ لا لفعل الخير والتقرب بها.

(وازهد فيما عند الناس) منها **(يحبك الناس)**؛ لأن قلوبهم مجبولة على حبها مطبوعة عليها. ومَن نازع إنسانا في محبوبه كرهه وقلاه، ومَن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه. ولهذا قال الحسن البصري: لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع في دنياهم فيستخفون به ويكرهون حديثه.

وقيل لبعض أهل البصرة: مَن سيدكم؟ قال: الحسن. قال: بم سادكم؟ قال: احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا.] ا.هـ (باختصار)

قال الإمام الغزالي /: [الزهد هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه. واعلم أن ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع.. فذلك كله من محاسن العادات، ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات. وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة. فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة؛ فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق، ولكن لا يكون زهدا؛ إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة؛ وهي ألذ وأهنأ من المال.

بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا، وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس؛ فتركها خوفا من أن يأنس بها، فيكون آنسا بغير الله، ومحبا لما سوى الله، ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

قيل لابن المبارك: يا زاهد! فقال: الزاهد عمر بن عبد العزيز؛ إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا ففي ماذا زهدت؟

وقال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: ألا ترى إلى ابن الحائك هذا -يعني ابا حنيفة- لا نفتي في مسألة إلا رد علينا؟! فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو؟ لكن **اعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها!**] [الإحياء]

قال ابن القيم /: [سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة. وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها.

وقال سفيان الثورى: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء.

وقال الجنيد: سمعت سريا يقول: إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده؛ لأنه لم يرضها لهم. وقال: الزهد في قوله تعالى: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد:23]. فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود.

وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال؛ فتصغر في عينك؛ فيسهل عليك الإعراض عنها.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: **الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام؛ وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الحلال؛ وهو زهد الخواص.**

والثالث: ترك ما يشغل عن الله؛ وهو زهد العارفين.

وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته؛ وهو من أجمع الكلام. وهو يدل على أنه رضي الله عنه

This file was downloaded from QuranicThought.com

من هذا العلم بالمحل الأعلى، وقد شهد الشافعي / بإمامته في ثمانية أشياء؛ أحدها الزهد.

والذي أجمع عليه العارفون أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة.

وليس المراد رفضها من الملك؛ فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا خ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة. وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن ابن عوف والزبير وعثمان ψ من الزهاد؛ مع ما كان لهم من الأموال. وكان الحسن بن علي ت من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناهم. وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير، وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد وكان له رأس مال.

ومن أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أُصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك.

فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه.

وجماع القول: إن الزهد زهد القلب لا زهد الترك من اليد وسائر الأعضاء. فهو تخلي القلب عنها لا خلو اليد منها.][1]

فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر. ومتى كان في قلبك ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء.

قيل للإمام أحمد: الرجل زاهدا ومعه ألف دينار؟ قال: نعم على شريطة ألا يفرح

[1] مدارج السالكين (باختصار وتصرف)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت، ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال.

وقيل لسفيان الثورى: أيكون ذو المال زاهدا؟ قال: نعم إن كان إذا زيد في ماله شكر وإن نقص شكر وصبر.

فـ[الزهد في الدنيا هو ما كان عليه رسول الله خ وأصحابه، فهو ليس بتحريم الطيبات وتضييع الأموال، ولا بلبس المرقع من الثياب، ولا بالجلوس في البيوت وانتظار الصدقات.. ليس الزهد أن ترفض المال وأن تكون فقيرا، أو أن تكون عالةً على الناس، وأن تكون يدك هي السفلى.. ولكن الزهد أن تكسب المال، وأن تجعله بيديك لا بقلبك؛ فإن المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ولا شك أن العمل الحلال والكسب الحلال والنفقة الحلال عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، بشرط أن تكون الدنيا في الأيدي، ولا تكون في القلوب، وإذا كانت الدنيا في يد العبد لا في قلبه، استوى في عينه إقبالها وإدبارها؛ فلم يفرح بإقبالها، ولم يحزن على إدبارها.

ولو نظرنا إلى العشرة المبشرين بالجنة لوجدنا أن أكثرهم كانوا من أصحاب رءوس الأموال الطائلة ومن التجار، فهذا أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف لو نظرنا إليهم بمنظار العصر لقيل: إنهم من أصحاب الملايين، فهل تخلف أحدهم عن غزوة مع رسول الله خ؟ هل ألهاهم التكاثر فمنعوا الإنفاق في سبيل الله؟ كلا والله ثم كلا.. هل سعوا للرئاسة والتفاخر وتزكية النفس وطلب المدح؟ لا والله ما فعلوا، بل هم أبعد الأمة عن هذه الأمور، وكانوا يجودون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ولنصرة دينه ولنصرة النبي خ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولقد وعى سلفنا الصالح تلك المعاني، وقدروها حقّ قدرها، فترجموها إلى مواقف مشرفة نقل التاريخ لنا كثيرا منها، وكان حالهم ما قاله الحسن البصري:

أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا إذا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها إذا أدبر، وكانت في أعينهم أهون من التراب.

لقد نظروا إليها بعين البصيرة، ووضعوا نُصب أعينهم قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ [فاطر:5]؛ فهانت عليهم الدنيا بكل ما فيها، واتخذوها مطية للآخرة وسبيلاً إلى الجنة.][1]

ولن يحقق جموع المسلمين اليوم هذا المقام إلا إذا حققه حكامهم؛ لأن [الناس على دين ملوكهم، فإذا استقام خليفة المسلمين وصار كالخلفاء الراشدين فإنهم كلهم يستقيمون، وإذا زهد في الدنيا يزهدون. وملاك الأمر كله هو الزهد في الدنيا وعدم التبسط فيها، ومن الأمثال القديمة: الناس على دين ملوكهم، وذكروا أن السبب في هذا المثل أن الوليد بن عبد الملك بن مروان، كان مشغوفا بتشييد البنيان، فكان الناس في زمانه ليس لهم همة إلا تشييد البنيان والقصور، وفي ذلك طول الأمل والغرور. ثم ولي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان، فكان مشغوفا بكثرة الأكل وتنويع الأطعمة وتكثير الألوان، فكان الناس في زمانه يتفاخرون بالتوسعة في تنويع المأكولات وينهمكون في التلذذ بالشهوات، وفي ذلك أعظم البليات. ثم ولي بعد سليمان ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان، الملحق بالخلفاء الراشدين، فكانت همته في الاشتغال بالطاعات والعدل وإقامة الدين، فكان الناس في زمنه راغبين في فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات.

فالخليفة الأعظم هو القدوة لجميع المسلمين، وأعظم شيء يقتدون به فيه؛ فيكون به صلاحهم وانتظام أمرهم واتفاق كلمتهم، هو الزهد في الدنيا والتناول منها

---

[1] فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب: محمد نصر الدين عويضة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بقدر الضرورة والحاجة وترك الفضول الذي لا يحصل إلا بتعب ولجاجة؛ فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وبلية، والزهد فيها أصل كل خصلة سنية، ولا يكون الزهد من العامة إلا بعد زهد الخاصة؛ فإن الخاصة هم العمدة في ذلك، والمراد من الخاصة: الملوك والسلاطين والأمراء والقضاة والعلماء. وأولى مَن يُطلب منه الزهد في الدنيا الخليفة الأعظم الذي أقامه الله لإصلاح أمور الدنيا والدين، وإحياء الشريعة وقتال الكفار ودفع المفسدين.

قال الإمام الطرطوشي في "سراج الملوك": إن الخليفة إذا عدل في بيت المال، وساوى نفسه بالمسلمين في الأخذ من بيت المال بقدر الحاجة، كان المسلمون كلهم عسكرا للإسلام.

والحاصل أنه إذا زهد في الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة في جميع الأحوال يتبعه على ذلك الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والأغنياء والفقراء.. فإذا حصل ذلك يسهل حينئذ إقامة الشريعة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصير همة الجميع متوجهة لاتحاد الكلمة والاجتماع على منهج الشرع المطهر، فتحيا بذلك السنن التي أميتت، وتزول البدع التي أذيعت، ويُقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات..

فإن الكفار إنما تغلبوا على المسلمين بسبب رغبة المسلمين في الدنيا واقتحامهم المعاصي لتحصيلها، وإزالتها مخالفة لأغراضهم الذين هم بصددها، فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وما داموا لم يكونوا كذلك لا يستقيم لهم أمر.

وما دام الخليفة الأعظم يتبسط في الدنيا ويأخذ من بيت المال ما أراد مما زاد عن حاجته، ويتكرم في العطاء بما شاء على من شاء، ولا يراعي في ذلك القواعد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المشروعة، ولا يسلك مسلك الخلفاء الراشدين؛ فإن الناس يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم، ولا تتحد كلمتهم ولا ينتظم أمرهم، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات، ويرتكبون لتحصيلها أنواع الخطيئات؛ لأن الله تعالى أجرى عادته بين العباد أن يكون الناس على دين ملوكهم، فهذا هو السبب في عدم اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم.

والخليفة أمين على بيت مال المسلمين لا يتصرف في شيء منه إلا بحسب المصلحة العائدة النفع على الإسلام والمسلمين، فهو مثل قيم مال اليتيم لا يتصرف إلا بالمصلحة الظاهرة، فإن كان له مال خاص به يستعفف به عن الأخذ من مال المسلمين فلا يأخذ شيئا، وإن لم يكن له مال يأخذ بقدر الحاجة، كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:6]

فإذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وكافة الخلق؛ فتتحد قلوبهم وتجتمع كلمتهم، ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون عن فعل السيئات، ويتركون التلذذ بالشهوات، فيتم اجتماعهم على نصرة الدين، ويصيرون كلهم عسكرا لنصرة الإسلام، ويقوى عزمهم على قتال أعدائهم من القوم الكافرين.

وأما إذا تبسط الخليفة في مال المسلمين، وتبعه الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء، فلا تطيب قلوب بقية المسلمين ببذل أموالهم وأنفسهم وأولادهم في قتال الكافرين، حيث يرون ملوكهم لم يساووهم.

وما كان انتصار الصحابة على القوم الكافرين وفتحهم البلاد الواسعة مع الاتحاد واتفاق الكلمة، إلا بسبب مساواة أمرائهم لهم في جميع شئونهم، وما حصل افتراق الكلمة وعدم ائتلاف القلوب، إلا لما استبد الملوك بالأموال وتبسطوا فيها، وترفعوا على بقية المسلمين وأكثروا من المكوسات والظلم بأخذ أمواله، وصرفوها في غير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مصارفها، فشق على المسلمين تميزهم عنهم وترفعهم عليهم بأموالهم التي أخذوها منهم بغير حق.

ولا يظنن ظان أن الخلفاء الراشدين إنما فتحوا الأمصار وانتصروا على الكفار بكثرة الصلاة والصيام، بل إنما كان ذلك بزهدهم في الدنيا وعدم تبسطهم بها وعدلهم في بيت المال، والحرص على مساواتهم للمسلمين؛ فطابت قلوب بقية المسلمين؛ فبذلوا أموالهم وأنفسهم وأولادهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد.. حتى كان الغزاة يتجهزون للغزو من أموال أنفسهم، ويجهزون منها غيرهم إن قدروا على ذلك؛ ونفوسهم طيبة بذلك، وتأبى نفوسهم أن يأخذوا من بيت المال شيئا إذا كان لهم ما يفي بذلك، لأنهم يرون أمراءهم مساوين لهم في جميع تلك الشئون.

وإذا سلك الخليفة والأمراء والعلماء هذا المسلك يرتفع عن المسلمين المكوسات والضرائب، وينتفي عنهم جور الحكام؛ لأنهم إنما يجورون عليهم ليتبسطوا في أموالهم ويتلذذوا بها، وإذا ساوى الحكام رعاياهم وعدلوا في بيت المال، تسخو نفوس الأغنياء بإعطاء الفقراء ويواسونهم، وتقنع نفوس الجميع بأقل القليل، فلا يبقى في المسلمين فقير، وينقاد الناس للحق وينصفون من أنفسهم، فتزول المخاصمات التي كانت بينهم وتقل مرافعاتهم إلى الحكام، ويحصل بينهم كمال المحبة والائتلاف، ويرتفع كل شقاق واختلاف.

وإذا عدل الخليفة في بيت المال وسلك في ترك التوسع في الدنيا طريق النبي خ والخلفاء الراشدين، كان قدوة للمسلمين، ويكون له من الأجر مثل أجر من عمل بمثل عمله من المسلمين، وكان سببا في اتحاد المسلمين وائتلاف قلوبهم واتفاق كلمتهم، وانتصارهم على القوم الكافرين، ويكون له في ذلك من الله الرضا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والرضوان في الدنيا وجنات النعيم، وتقر بذلك عين النبي خ فإنه بالمؤمنين رءوف رحيم.

ويستحيل أن يحصل لهم شيء من ذلك والخليفة لم يكن كذلك، لأنهم إنما يفعلون ما يفعل، وحالهم عن ذلك لا يتحول، وعدم التوسع في الدنيا هو ملاك الأمر، وليس على الخليفة في سلوك هذا الطريق مشقة ولا ضيق، ولا منع من إدراك الحق ولا تعويق، وينال بغيته من الأكل والشرب والنكاح بغاية الراحة والتلذذ. والحاصل أن استقامة الخليفة حتى يكون كالخلفاء الراشدين في عدله في بيت المال، هو السبب الأعظم في اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم في جميع الأحوال، وعدم عدله في بيت المال سبب للافتراق في الحال والمآل، ولو صام النهار وقام الليالي الطوال، وبدون استقامة الخليفة وعدله في بيت المال كالخلفاء الراشدين لا يرجى للمسلمين فلاح، ولا يتم لهم اتحاد ولا نجاح. [1]

فيا عباد الله..

فلله دَرُّ أقوام تركوا الدنيا فأصابوا، وسمعوا منادي الله فأجابوا، وحضروا مشاهد التُّقى فما غابوا.. اعتذروا مع التحقيق ثم تابوا وأنابوا، وقصدوا باب مولاهم فما رُدوا ولا خابوا..

% % %

حب الدنيا وكراهية الموت:

عن ثوبان ت قال: قال رسول الله خ: **"يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها". فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة**

[1] حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن". فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت". [رواه أبو داود، وصححه الألباني]

قال صاحب عون المعبود: [(**يوشك**): أي يقرب فرق الكفر وأمم الضلالة (**أن تداعى عليكم**): بحذف إحدى التائين. أي تتداعى؛ بأن يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال. (**كما تداعى الأكلة**): جمع آكل. والمعنى: كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضا. (**إلى قصعتها**): الضمير للأكلة، أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع؛ فيأكلونها عفوا وصفوا. كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم.

أي: يقرب أن فرق الكفر وأمم الضلالة أن تداعى عليكم أي يدعو بعضهم بعضا إلى الاجتماع لقتالكم وكسر شوكتكم ليغلبوا على ما ملكتموه من الديار، كما أن الفئة الآكلة يتداعى بعضهم بعضا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع فيأكلونها صفوا من غير تعب.

(**ومن قلة نحن يومئذ**): أي أن ذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ؟ (**بل أنتم يومئذ كثير**): أي عددا وقليل مددا، (**ولكنكم غثاء كغثاء السيل**): الغثاء: ما يحمله السيل من زبَد ووسخ. شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم. (**ولينزعن**): أي ليخرجن (**المهابة**): أي الخوف والرعب. (**وليقذفن**): أي وليرمين الله (**الوهن**): أي الضعف، وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه، ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت.

(**وما الوهن**): أي ما يوجبه وما سببه؟ قال الطيبي : سؤال عن نوع الوهن، أو كأنه أراد: من أي وجه يكون ذلك الوهن؟

(قال: حب الدنيا وكراهية الموت): وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين، ونسأل الله العافية.] ا.هـ

This file was downloaded from QuranicThought.com

قال ابن القيم /: جميع الأمم المكذِّبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حبُّ الدنيا.. فكل خطيئة في العالم أصلها حبُّ الدنيا، فحب الدنيا والرياسة هو الذي عمر النار بأهلها، والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي عمر الجنة بأهلها.. والدنيا تسحر العقول أعظم سحر.

ولذلك كان حرص رسول الله خ على تربية أصحابه على الزهد في الدنيا وقصر الأمل.. عن مجاهد عن ابن عمر ب قال: أخذ رسول الله خ ببعض جسدي فقال: "**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور**". فقال لي ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك؛ فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا. [رواه الترمذي، وصححه الألباني]

وعن عبد الله بن مسعود ت قال: **خَطَّ النبيُّ خ خَطًّا مُربعًا، وخَطَّ خَطًّا في الوسط خارجًا منه، وخَطَّ خُطوطًا صِغارا إلى هذا الذي في الوَسَط مِن جانبه الذي في الوَسَط وقالَ: "هذا الإنسانُ، وهذا أجَلُهُ مُحيطٌ بِهِ، –أو: قد أحاط به– وهذا الذي هو خارج أمَلُهُ، وهذه الخطوطُ الصغارُ الأعراضُ، فإنْ أخطأهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أخطأهُ هذا نَهَشَهُ هذا"**. [رواه البخاري]

إنه الإنسان الضعيف تغزوه الأعراض غزوا فيه إلحاح: عدوى، أو سرطان، أو حريق، أو غرق، أو زلق، أو سقوط، أو اصطدام، أو لدغة، أو تسمم بطعام، أو طلقة تائهة.. فإذا نجا من كل ذلك؛ كان له في الهرم، وضغط الدم وارتفاع نسبة السكر.. تأديب أي تأديب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فإن أطال النفَس اقتص منه الموت: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة:8].. تعددت الأسباب والموت واحد؛ يحاصر الأمل الشارد الذي يتوهم الإفلات حصارا شديدا.

أمل أبيض وضّاء، كلما برق زهت في نظر صاحبه الأموال والحِسان والعطور والقصور والمناصب والشهادات.. فينسى مع نظره المنسرح المسترسل متطلبات نصرة الدين، ويصد عينه عن أرض مقدسة يفسد فيها يهود ولا يعود أنفه يشم رائحة شواء أبناء الإسلام في الصومال، ولا نتن جثث الأتراك تحت حائط في قرية قبرصية، وتتناسى أذنه وقع أحذية عساكر الهنادك في البنغال..!

لكن المؤمن لو نظر ببصيرته لعرف أن أمله الوضاء إنما يلفه محيط أسود حالك، يتيه فيما دونه من الظلمات؛ ما لم يتبع في مشيه مخرجا تدل عليه التقوى.

خطب علي بن أبي طالب ت بالكوفة فقال: يا أيها الناس! إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيضل عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. [رواه البيهقي في "شعب الإيمان"]

وقال سلمان الفارسي ت: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ. وثلاث أحزنتني حتى أبكتني: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي الله ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار.

وقال عمر بن عبد العزيز: إن لكل سفر زادا لا محالة؛ فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، **ولا**

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم؛ فإنه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا..

فإنَّ العيش الرغيد لابد أنْ يتنغص، والظل الظليل يتقلص، وإنَّ المطامع مهما كبرت فليس صاحبها لما قُدّر له بمجاوز.. فالأنفاس تُعَد، والرحال تُشَد، والعارية تُرَد، والتراب مِن بعد ينتظر الخد.. وعلى أثر مَن سلف يمشي مَن خلف، وما ثم إلا أمل مكذوب.. وأجل مكتوب..

قال الإمام الغزالي /: [اعلم أن طول الأمل له سببان: أحدهما الجهل، والآخر حب الدنيا.

أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها؛ فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها. وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه. والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة؛ فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده. وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا؛ فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء، وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا؛ فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر، موقوفا عليه؛ فيلهو عن ذكر الموت؛ فلا يقدر قربه. فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوَّف ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب! وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخا.. فإذا صار شيخا قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة.. أو ترجع من هذه السفرة.. أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه، وتدبير مسكن له.. أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك..

فلا يزال يسوف ويؤخر، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر، وهكذا على التدريج.. يؤخر يوما بعد يوم، ويفضى به شغل إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شغل؛ بل إلى أشغال.. إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه؛ فتطول عند ذلك حسرته.. وأكثر صياح أهل النار من (سوف)؛ يقولون: واحزناه من سوف!

والمسوِّف المسكين لا يدرى أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا، وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا. ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط.. وهيهات! فما يفرغ منها إلا مَن طرحها..

فما قضى أحدٌ منها لُبانَتَه وما انتهى أرَبٌ إلا إلى أرَبِ

وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها.

وحب الدنيا هو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه، ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر، وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب. ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا؛ **فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير**.. فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها؛ وإنْ أُعطى مُلك الأرض من المشرق إلى المغرب.. وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص؛ فكيف يفرح بها، أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة.. فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده.

ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال، وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا.. أما مَن كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما، وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا..

ويظهر أثر قصر الأمل في المبادرة إلى العمل. وكل إنسان يدعى أنه قصير الأمل وهو كاذب. إنما يظهر ذلك بأعماله؛ فإنه يعتنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة؛ فيدل ذلك على طول أمله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين؛ لا يغفل عنه ساعة.. فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره، بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه، ثم يستأنف مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح..

ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه. فمثل هذا إذا مات سعد وغنم، وإن عاش سُرَّ بحسن الاستعداد ولذة المناجاة. فالموت له سعادة والحياة له مزيد.

فليكن الموت على بالك يا مسكين؛ فإن السير حاثٌّ بك وأنت غافل عن نفسك.. ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة، ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفَس أُمهِلتَ فيه..] [1]

والذي يعيش مترقبًا النهاية يعيش مُعِدًّا لها، فإنْ كان مُعِدًّا لها، عاش راضيًا بها، فإنْ عاش راضيًا بها، كان عمره في حاضر مستمر كأنه في ساعة واحدة يشهد أولها ويحس آخرها..

ولِذِكر الموت أثر عظيم في إصلاح النفوس كما قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي، ويُذهِب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب فيها.

قال شميط بن عجلان: مَن جعل الموت نصب عينيه لم يبالِ بضيق الدنيا ولا بسعتها.

وقال القرطبي: ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الآخرة الباقية. ثم إنَّ الإنسان لا ينفك عن حالين: ضيق وسعة، ونعمة ومحنة.. فذِكر الموت يسهل عليه ما هو فيه من الاغترار بها والركون إليها.

---

[1] إحياء علوم الدين (باختصار)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال الدقاق: مَن أكثر ذكر الموت أُكرِم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومَن نسيه عُوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

وقال الحسن: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لُبٍّ فرحًا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت في عينه الدنيا، وهان عليه كل ما فيها.

والمؤمن يرى الموت نقلة مِن عالم الفناء إلى عالم البقاء، وخطوة يخلص بها مِن ضيق الأرض إلى سعة الجنة، ومِن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق، ومِن تهديد البغي إلى سلام النعيم، ومِن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين..

عن الربيع بن خثيم قال: **ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت.**

وعن مالك بن مغول قال: **بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت، لما يرى من كرامة الله تعالى وثوابه.**

وعن حبان بن الأسود قال: **الموت خير يوصل الحبيب إلى الحبيب.**

وعن ابن مسعود ت قال: **ما من بَر ولا فاجر إلا والموت خير له من الحياة.. إن كان بَرًّا، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:198]، وإن كان فاجرًا، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [آل عمران:178]**

ولله در القائل:

يَبكي الرِجالُ عَلى الحَياةِ وقَد
أَفنى دُموعي شَوقي إِلى الأَجَلِ!

فيا عباد الله..

لا تتمُّ الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بالنظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها وشرف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما فيها من الخيرات والمسرَّات، كما قال الله سبحانه:

↓وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى↑ [الأعلى:17]، فهي خيرات

كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة

منقطعة مضمحلة. [ابن القيم]

فإنْ ضاقتِ الدنيا عليكَ ولم يَكُ فيها
بأسرِها منزلٌ لكَ يُعلَمُ
فحيَّ على جناتِ عدنٍ فإنها منازلُنا الأولى
وفيها المُخَيَّمُ
وإنْ حُجِبَتْ عنا وحُفَّتْ بما يُؤذي
النفوسَ ويُؤلِمُ
بكلِّ كريهةٍ وأصنافِ لذاتٍ
فللهِ ما في بها يُتَنَعَّمُ
حَشْوِها مِن مَسَرَّةٍ فما فازَ باللذاتِ
فأقدِمْ ولا تَقنَعْ مَن ليس يُقْدِمُ
بعيشٍ مُنَغَّصٍ

% % %

قبسات من أخبار أئمة العدل في الزهد وقصر الأمل

سيد الزهاد خ:

ولنا في رسول الله خ أسوة حسنة؛ فقد آثر الزهد والكفاف، ورفض الأخذ من الدنيا إلا بقدر ما يسد الرمق ويقيم الأوَد، مع العلم أن الدنيا قد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها، ولو أراد جبال الدنيا أن تكون ذهبا وفضة لكانت، ولكنه خ ربما بات جائعا! ويمر الشهر لا توقد في بيته نار، ويستمر الأيام طاويا لا يجد ردئ التمر يسد به جوعه، وما شبع من خبز الشعير ثلاث ليال متواليات، وكان ينام على الحصير حتى أثّر في جنبه، وربط الحجر على بطنه من الجوع، وكان ربما عرف أصحابه أثر الجوع في وجهه خ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عن عروة عن عائشة ل أنها قالت لعروة ابن أختي: إنْ كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله خ نار. فقلت: يا خالة! ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله خ جيران من الأنصار كانت لهم منائح[1]، وكانوا يمنحون رسول الله خ من ألبانهم فيسقينا. [رواه البخاري]

وكان بيته خ من طين، متقارب الأطراف، داني السقف، وقد رهن درعه في ثلاثين صاعا من شعير عند يهودي، وربما لبس إزارا ورداء فحسب، وما أكل على خوان قط، وكان أصحابه ربما أرسلوا له الطعام لما يعلمون من حاجته إليه.. كل ذلك إكراما لنفسه عن أدران الدنيا، وتهذيبا لروحه وحفظا لدينه ليبقى أجره كاملا عند ربه، وليتحقق له وعد مولاه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:5]

عن عمر ت قال: دخلت على رسول الله خ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئا على وسادة من أدَم حشوها ليف. قلت: يا رسول الله! ادعُ الله فليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله. فقال: **"أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا". وفي رواية: "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟"** [متفق عليه]

وعن ابن عباس ب قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي خ وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا رسول الله! لو اتخذت فراشا أوثر من هذا.. فقال: **"مالي وللدنيا وما للدنيا ومالي.. والذي نفسي بيده، ما مثلي ومثل الدنيا إلا**

---

[1] المنائح جمع (منيحة) وهي الناقة الممنوحة، وكذلك الشاة، ثم سميت بها كل عطية. أن يعطي الرجل النخلة لآخر ليأكل ثمرتها، أو البقرة ليحتلب لبنها، فإذا انقطع ردها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها". [رواه البيهقي]

وكان خ يقسم الأموال على الناس ثم لا يحوز منها درهما واحدا، ويوزع الإبل والبقر والغنم على الأصحاب والأتباع والمؤلفة قلوبهم ثم لا يهب بناقة ولا بقرة ولا شاة، بل يقول خ: **"لو كان عددُ هذه العِضاهِ نعمًا لقسمتُه بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا"** [رواه البخاري]

وذكر البيهقي في "دلائل النبوة" عن عبد الله الهوزني قال: لقيت بلالا مؤذن النبي خ بحلب، فقلت: يا بلال! حدِّثني كيف كانت نفقة النبي خ؟ فقال: ما كان له شيء من ذلك إلا أنا الذي كنت ألي ذلك منه منذ بعثه الله تعالى إلى أن توفي، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم، فرآه عاريا يأمرني فأنطلق فأستقرض وأشتري البردة والشيء، فأكسوه وأطعمه، حتى اعترضني رجل من المشركين، فقال: يا بلال! إن عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني. ففعلت.. فلما كان ذات يوم توضأت، ثم قمت لأؤذن بالصلاة، فإذا المشرك في عصابة من التجار، فلما رآني قال: يا حبشي! قال: قلت: يا لبيه! فتجهمني، وقال قولا غليظا، فقال: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قلت: قريب. قال: إنما بينك وبينه أربع ليالٍ، فآخذك بالذي لي عليك؛ فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك، ولكن أعطيتك لتُجلَب لي عبدا فأردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك. فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس.. فانطلقت، ثم أذنت بالصلاة، حتى إذا صليت العتمة، رجع النبي خ إلى أهله، فاستأذنت عليه فأذن لي، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، إن المشرك الذي ذكرتُ لك أني كنتُ أتدين منه قد قال لي كذا وكذا، وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي.. فأذن لي آتي بعض هؤلاء الأحياء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله ما يقضي عني. فخرجت حتى أتيت منزلي، فجعلت سيفي وجرابي ورمحي ونعلي عند رأسي، واستقبلت بوجهي الأفق. فكلما نمت انتبهت، فإذا رأيت عليّ ليلا نمت حتى انشق عمود الصبح الأول، فأردت أن أنطلق، فإذا إنسان يسعى.. يدعو: يا بلال! أجب رسول الله **خ**.. فانطلقت حتى أتيته **خ**؛ فإذا أربع ركائب عليهن أحمالهن، فأتيت النبي **خ**، فاستأذنت، فقال لي النبي **خ**: "أبشر، فقد جاءك الله بقضائك". فحمدت الله تعالى. وقال: "ألم تمر على الركائب المناخات الأربع؟" قال: فقلت: بلى. قال: "فإن لك رقابهن وما عليهن" -فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم "فدك"- "فاقبضهن إليك ثم اقض دينك". قال: ففعلت، فحططت عنهن أحمالهن، ثم عقلتهن، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح، حتى إذا صلى رسول الله **خ**، خرجت إلى البقيع فجعلت إصبعي في أذني، فناديت وقلت: من كان يطلب رسول الله **خ** دينا فليحضر. فما زلت أبيع وأقضي وأعرض وأقضي، حتى لم يبق على رسول الله **خ** دين في الأرض، حتى فضل عندي أوقيتان، أو أوقية ونصف، ثم انطلقت إلى المسجد، وقد ذهب عامة النهار، فإذا رسول الله **خ** قاعد في المسجد وحده، فسلمت عليه، فقال لي: "ما فعل ما قِبَلك؟" قلت: قد قضى الله كل شيء كان على رسول الله **خ**، فلم يبقَ شيء. فقال: "فضل شيء؟" قال: قلت: نعم، ديناران. قال: "انظر أن تريحني منهما، فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما". قال: فلم يأتنا أحد، فبات في المسجد حتى أصبح، وظل في المسجد اليوم الثاني، حتى كان في آخر النهار جاء راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما، حتى إذا صلى العتمة دعاني، فقال: "ما فعل الذي قِبَلك؟" قلت: قد أراحك الله منه. فكبر وحمد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك. ثم اتبعته حتى إذا جاء أزواجه، فسلم على امرأة امرأة، حتى إذا أتى

مبيته. فهذا الذي سألتني عنه.

وكان **خ** الأسوة العظمى في الإقبال على الآخرة وترك الدنيا وعدم الالتفات إليها أو الفرح بها، أو جمعها أو التلذذ بطيباتها أو التنعم بخيراتها، فلم يبنِ قصرا، ولم يدَّخر مالا، ولم يكن له كنز ولا جنة يأكل منها، ولم يخلف بستانا ولا مزرعة، وهو القائل: **"لا نورَّث، ما تركناه صدقة"**. [أخرجه البخاري ومسلم]، وكان يدعو بقوله وفعله وحاله إلى الزهد في الدنيا والاستعداد للآخرة والعمل.

وقد خُيِّر بين أن يكون ملِكًا رسولا أو عبدًا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا؛ يشبع يوما ويجوع يوما، حتى لقي الله عز وجل.

ومن زهده في الدنيا سخاؤه وجوده؛ فكان لا يرد سائلا ولا يحجب طالبا ولا يخيِّب قاصدا، وأخبر أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وقال: **"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"** [أخرجه البخاري] . وقال: **"الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما"** [أخرجه الترمذي وابن ماجه]، وقال: **"ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت"** [أخرجه مسلم].[1]

إذا علمنا هذا كله أدركنا أنها النبوة، وأن غير النبوة لا ترضى حياة الجهد والمشقة والفاقة؛ مع هذا المُلك العريض والسلطان الكبير والواردات الكثيرة.

عُرِضَتْ عليهِ الدنيا يبغي مِنَ الأخرى
فأعرضَ زاهدًا المكانَ الأرفعا

[1] محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه: د. عائض القرني (بتصرف)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما جرَّ أثوابَ الحريرِ ولا مشى وهو الذي ألبسَ الدنيا السعادةَ وهو الذي لو شاءَ نالت كفُّهُ
بالتاجِ مِن فوقِ الجبينِ مُرَصَّعا حُلَّةٌ فضفاضَةٌ لَبسَ القميصَ مُرقَّعا كلَّ الذي فوقَ البسيطةِ أجمعا

أبو بكر الصديق ت:

عن زيد بن أرقم قال: كنت مع أبي بكر الصديق ت فاستسقى، فأُتي بإناء فيه ماء وعسل فأدناه من فيه، ثم نحاه وبكى حتى بكى أصحابه، فسكتوا وما سكت.. ثم مسح وجهه بردائه وبكى حتى أيسوا من كلامه، ثم مسح عينيه.. فقالوا له: يا خليفة رسول الله! ما الذي أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله خ فرأيته يدفع عنه شيئا لم أبصر أحدا معه، قلت: يا رسول الله! ما هذا الذي تدفع عن نفسك ولا أرى معك أحدا؟ قال: "هذه الدنيا تمثلت لي، وحنت ظهرها عليّ فقلت لها: إليك عني.. فقالت: أما والله لئن نجوتَ مني لا ينجو مني من بعدك". فذكرتُ ذلك اليوم فخشيت أن تلحقني. [رواه البيهقي في شعب الإيمان]

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر ت في مرضه الذي تُوفي فيه، فسلمت عليه، فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت، وستتخذون ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأزربي كأن أحدكم على حسك السعدان، ووالله لأن يُقدَّم أحدكم فيُضرب عنقه في غير حد؛ خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا.

ومن هوان الدنيا عليه أنفق ماله كله في سبيل الله مرتين: أولاهما: يوم الهجرة؛ إذ تقول أسماء ل: لما خرج رسول الله خ وخرج أبو بكر معه؛ احتمل أبو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بكر ماله كله، وكان معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه..!

قالت: قلت: كلا يا أبت.. إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا.

قالت: وأخذتُ أحجارًا فوضعتُها في كُوَّة في البيت الذي كان أبي يضع المال فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت.. ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه، فقال: لا بأس! إذا كان قد ترك لكم هذا؛ فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم.

تقول أسماء: ولا والله ما ترك لنا شيئا..!

وأما المرة الثانية التي خرج فيها أبو بكر الصديق ت من كل ماله فهي يوم تبوك، فعندما دعا رسول الله خ للإنفاق لغزوة تبوك (غزوة العسرة) تسابق الصحابة ψ في البذل، وتنافسوا فيمن يبذل أكثر..

يقول عمر بن الخطاب ت: أمرنا رسول الله خ أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا..! قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله خ: "ما أبقيتَ لأهلك؟"، قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال رسول الله خ: "يا أبا بكر.. ما أبقيتَ لأهلك؟"، قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله.. قلتُ: والله لا أسبقه إلى شيء أبدا..!

وما أعظمها فعلة عند الله! وما أجزل أجرها وثوابها!

ولكنه لا يُلقَّاها إلا ذو حظ عظيم.

ιοπ

عمر الفاروق ت:

This file was downloaded from QuranicThought.com

عن حارثة بن مضرب عن عمر ت أنه قال: إني أنزلتُ مال الله مني بمنزلة مال اليتيم؛ فإن استغنيتُ عففتُ عنه، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف.

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة في الحج، ثم رجعنا، فما ضرب فسطاطًا، ولا كان له بناء يستظل به، إنما كان يُلقي نطعًا أو كساءً على شجرة فيستظل تحته.

عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة بنت عمر لأبيها: يا أبت! إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير؛ فلو طعمت طعاما ألين من طعامك، ولبست لباسا ألين من لباسك؟ فقال: سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله خ يلقى من شدة العيش؟ قال: فما زال يذكرها حتى أبكاها، ثم قال: إني قد قلت لك إني والله لئن استطعت لأشاركنها في عيشهما الشديد لعلي ألقى معهما عيشهما الرخي. (قال يزيد بن هارون: يعني رسول الله وأبا بكر).

قال الحسن: إن عمر بن الخطاب أبَى إلا شدة وحصرا على نفسه، فجاء الله بالسعة، فجاء المسلمون فدخلوا على حفصة فقالوا: أبَى عمر إلا شدة على نفسه وحصرا وقد بسط الله في الرزق؛ فليبسط في هذا الفيء فيما شاء منه؛ وهو في حل من جماعة المسلمين.. فكأنها قاربتهم في هواهم، فلما انصرفوا من عندها دخل عليها عمر فأخبرته بالذي قال القوم، فقال لها عمر:

يا حفصة بنت عمر! نصحتِ قومك وغششتِ أباك! إنما حق أهلي في نفسي ومالي، فأما في ديني وأمانتي فلا.

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال: بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومِنطقته وسِوارَيْه وسراويله وقميصه وتاجه وخُفيه.. قال: فنظر عمر في وجوه القوم، وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مالك بن جعشم، فقال: يا سراق! قم فالبس.. قال سراقة: فطمعت فيه، فقمت فلبست.. فقال: أدبِر، فأدبرت. ثم قال: أقبِل، فأقبلت. ثم قال: بخٍ.. بخ.. أعيرابي من بني مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه..! رُبَّ يوم يا سراق بن مالك، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى؛ كان شرفا لك ولقومك.. انزع، فنزعت.. فقال: اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك، وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني.. ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني.. وأعطيتنيه.. فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي.

ثم بكى حتى رحمه من كان عنده. ثم قال لعبد الرحمن بن عوف: أقسمت عليك ما بعته ثم قسمته قبل أن تمسي.

يقول د. عبد العزيز الحميدي: **وهكذا جسَّم عمر ت مظاهر الدنيا الخلابة الخداعة حينما ألبس سراقة متاع كسرى، وكأنه يقول: انظروا إلى قمة مظاهر الدنيا التي بذلت فيها آلاف الدنانير، ثم ما الذي أغنته عن صاحبها؟ فها هو في حياته الدنيا يطرد من كل بلد، ويعيش في رعب وخوف، ثم هو في الآخرة من أصحاب الجحيم.. فهل جلبت له هذه المظاهر السعادة في الدنيا والآخرة؟ وهل دفعت عنه ما يكره في الدارين؟ الواقع أنها تهاوت كما تتهاوى الخرائب، وسقط معها كل من انخدع بها..**

ثم يشير عمر ت بقوله: "رُبَّ يوم يا سراق بن مالك، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى؛ كان شرفا لك ولقومك".. يشير إلى أن العرب في جاهليتهم ليسوا أحسن حالا من غيرهم في الاغترار بمظاهر الدنيا، فقد كانوا يعظمون أهل هذه المظاهر، فلو غنم هذه المغانم أهل الجاهلية ولبسوها لاعتبروا ذلك شرفا لهم، أما وقد غنمها المسلمون فإنهم لن يستحلوا لبسها، ولن يروها شيئا يُذكر؛ لأن الله سبحانه أعزهم بالإسلام فلا عزة لهم بغيره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد أراد عمر ت أن يلقي على المسلمين في المدينة درسا عمليا في التزهيد بمظاهر الدنيا..

وهكذا فتحت مدينة "المدائن" عاصمة دولة الفرس التي كانت تملك أكثر من نصف الأرض الشرقي.. فيا ترى لو كان الفاتحون من غير المسلمين هل يتركون تلك المدينة وقصرها الأبيض المشهور وإيوان كسرى؟!

إن البدهي في منطق العقول المعتادة أن ينتقل حاكم المسلمين وأميرهم من المدينة المنورة ذات المباني الطينية والخشونة في العيش؛ للعيش في قصور الأكاسرة، وليجعل من حاضرة ملكهم التي تم بناؤها بجهود ضخمة عاصمة لدولة الإسلام.. وإذا لم يتم ذلك فليس أقل من أن يتربع على عرش تلك المدينة والي العراق والمشرق..

ولكن أمير المؤمنين عمر ت لم يفعل ذلك، ولم يفعله أيضا والي العراق سعد بن أبي وقاص ت.. ذلك لأنهما من قوم زكى الله تعالى قلوبهم وطهر سرائرهم؛ فزهدوا في نعيم الدنيا، وتطلعت نفوسهم العالية إلى رضوان من الله أكبر.[1]

كـرِّر عليّ حديثَهم يا حادي
فحديثُهم يَجلو الفؤادَ الصادي

ιοπ

ذو النورين ت:

سئل الحسن عن القائلين[1] في المسجد، فقال: رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، ويقوم وأثر الحصى بجنبه. قال: فنقول هذا أمير المؤمنين.. هذا أمير المؤمنين! [رواه أحمد]

---

[1] الطبقات الكبرى – البداية والنهاية – الخلفاء الراشدون: مواقف وعبر (بتصرف)

[1] من القيلولة. والقَيْلولة عند العرب والمَقِيل: الاستراحة نصف النهار إذا اشتدَّ الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم. [لسان العرب]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعنه قال: رأيت عثمان نائما في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم.

وعن شرحبيل بن مسلم أن **عثمان ت كان يُطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت.**

وعن عبد الملك بن شداد بن الهاد، قال: رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم أوخمسة دراهم.

وبذله الواسع في سبيل الله دليل زهده في الدنيا وهوانها عليه؛ فقد كان ت بالمال إلى رضاء الله متوصلاً، وببذله لعباد الله متنفلاً، ولحظ نفسه منه متقللاً، وفي لباسه متعللاً.

وفيه ت نزلت الآية: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:261]

أي: مثل الذين ينفقون المال يبتغون به رضا الله وحسن مثوبته؛ كمن يزرع حبة في أرض مُغلة؛ فتنبت سبع سنابل؛ أي: تخرج ساقا تتشعب منه سبع شعب؛ في كل سنبلة منها مائة حبة، كما يُرى في كثير من الحَب كالذرة.

قال الواحدي في أسباب النزول: إنّ هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ب؛ ذلك أنّ رسول الله خ حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك حث الناس على الإنفاق في سبيل الله. وكان الجيش يومئذ بحاجة إلى الجهاز؛ وهو جيش العُسْرة. فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف، وقال عثمان بن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عفان: عليَّ جهاز من لا جهاز له. فجَهز الجيش بألف بعير بأقْتَابها وأحْلاسِها.[1]

وقيل: جاء بألف دينار ذهبا فصبها في حِجر رسول الله خ.

وفي مدة خلافته ت كان المجتمع ينعم بأهنأ عيش.. قال الحسن البصري: شهدتُ منادي عثمان ينادي: يا أيها الناس! اغدوا على أعطياتكم؛ فيغدون، ويأخذونها وافية.. يا أيها الناس! اغدوا على أرزاقكم؛ فيغدون، فيأخذونها وافية.. حتى والله سمعته أذناي يقول: اغدوا على كسوتكم؛ فيأخذون الحُلل.. واغدوا على السمن والعسل..

أرزاق دارة، وخير كثير، وذات بين حسن.. ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا؛ إلا ويوده وينصره ويألفه.. فلو صبر بعضهم على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق، ولكنهم لم يصبروا، وسلُّوا السيف مع من سلَّ؛ فصار عن الكفار مغمدا، وعلى المسلمين مسلولا.. [رواه الحافظ ابن عبد البر]

وقال ابن سيرين: كثر المال في زمن عثمان؛ حتى بيعت الجارية بوزنها، وفرس بمائة ألف درهم، ونخلة بألف درهم.[1]

ιοπ

علي بن أبي طالب ت:

عن علي بن ربيعة قال: جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب ت، فقال: يا أمير المؤمنين! امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء.. فقال: الله أكبر.. ثم قام متوكئا على ابن التياح حتى قام على بيت المال، فقال: يا ابن التياح! عليّ بأشياخ الكوفة.. قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال؛ وهو يقول: يا

---

[1] أقتابها: جمع (قَتَب)، وهو رَحْل صغير على قدر سَنام البعير / أحلاسها: جمع (حِلْس)، وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة.

[1] صفة الصفوة – تفسير المراغي – مع الرعيل الأول – حلية الأولياء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صفراء.. يا بيضاء.. غُري غيري.. ها.. وها.. حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم! ثم أمر بنضحه، وصلى فيه ركعتين. [رواه أحمد]

عن عبد الله بن زرير أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب ت، قال حسن: يوم الأضحى، فقرب إلينا خزيرة.[1] فقلت: أصلحك الله! لو قربتَ إلينا من هذا البط؛ فإن الله عز وجل قد أكثر الخير. فقال: يا ابن زرير! إني سمعت رسول الله يقول: **"لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس"**. [رواه أحمد]

عن مروان بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة؛ وهو يرعد من البرد! فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبا في هذا المال؛ وأنت ترعد من البرد! فقال ت: إنى والله لا أرزأ من مالكم شيئا، وهذه القطيفة هي التي خرجتُ بها من بيتي، أو قال: من المدينة.

عن مجمع بن سمعان التميمى قال: خرج علي بن أبى طالب بسيفه إلى السوق فقال: مَن يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزارا ما بعته!

وعن ابن عباس ب قال: اشترى عليّ قميصا بثلاثة دراهم وهو خليفة، وقطع كمه من موضع الرسغين، وقال: الحمد لله الذي هذا من رياشه!

وذكر عبد الله بن المبارك في "الزهد" عن يزيد بن وهب الجهني، قال: خرج علينا علي بن أبى طالب ذات يوم وعليه بردان، متزر بأحدهما مرتد بالآخر، قد أرخى جانب إزاره ورفع جانبا، قد رفع إزاره بخرقة.. فمر به أعرابي، فقال: أيها الإنسان! البس من هذه الثياب؛ فإنك ميت أو مقتول! فقال: **أيها الأعرابي! إنما**

---

[1] الخزيرة : لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُر عليه الدقيق. فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة . وقيل: هي حساء من دقيق ودسم. وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة. [النهاية في غريب الأثر]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو، وخيرا لي في صلاتي، وسنة للمؤمن.

وعن المختار بن نافع عن أبى مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك؛ فإنه أبقى لثوبك وأتقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلما.. فمشيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتدٍ برداء، ومعه الدِّرَّة كأنه أعرابي بدوي! فقلت: مَن هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبا بهذا البلد؟ فقلت: أجل.. أنا رجل من أهل البصرة. فقال: هذا علي بن أبى طالب أمير المؤمنين.. حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط، وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا؛ فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة.. ثم أتى أصحاب التمر فإذا خادم تبكي.. فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرا بدرهم؛ فرده مواليّ؛ فأبى أن يقبله.. فقال له عليّ: خذ تمرك وأعطها درهمها؛ فإنها ليس لها أمر.. فدفعه. فقلت: أتدري مَن هذا؟ فقال: لا.. فقلت: هذا علي بن أبى طالب أمير المؤمنين. فصبَّت تمره وأعطاها درهمها، ثم قال الرجل: أُحب أن تَرضَى عني يا أمير المؤمنين! قال: ما أرضاني عنك إذا أوفيتَ الناس حقوقهم.. ثم مرَّ مجتازا بأصحاب التمر، فقال: **يا أصحاب التمر! أطعموا المساكين يَرُبُّ كسبكم**.. ثم مرَّ مجتازا ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: **لا يُباع في سوقنا طافٍ**.. ثم أتى دار فرات وهى سوق الكرابيس[1]، فأتى شيخا فقال: يا شيخ! أحسن بيعى فى قميص بثلاثة دراهم.. فلما عرفه لم يشترِ منه شيئا.. ثم آخر، فلما عرفه لم يشترِ منه شيئا.. فأتى غلاما حدَثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم، وكُمه ما بين الرسغين إلى الكعبين.. يقول في لبسه: الحمد لله الذى رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتي.. فقيل له: يا أمير المؤمنين! هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول

[1] جمع كرباس وهو القطن، والكرابيس الثياب القطنية الخشنة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الله خ؟ فقال: لا.. بل شيء سمعته من رسول الله خ يقوله عند الكسوة. فجاء أبو الغلام صاحب الثوب، فقيل له: يا فلان! قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصا بثلاثة دراهم. قال: أفلا أخذتَ منه درهمين؟ فأخذ منه أبوه درهما، ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة، فقال: امسك هذا الدرهم.. فقال: ما شأن هذا الدرهم؟ فقال: إنما ثمن القميص درهمين. فقال: باعني رضاي وأخذ رضاه.

وروى الإمام أحمد في "الزهد" عن عباد بن العوام، عن هلال بن حبان، عن مولى لأبى غصين، قال: رأيت عليًّا خرج فأتى رجلا من أصحاب الكرابيس، فقال له: عندك قميص سنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصا فلبسه، فإذا هو إلى نصف ساقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال: ما أرى إلا قدرا حسنا.. بكم هذا؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين! قال: فحلَّها من إزاره فدفعها إليه، ثم انطلق.

وعن عبادة بن زياد، عن صالح بن أبي الأسود، عمن حدثه أنه رأى عليًّا قد ركب حمارا ودلَّى رجليه إلى موضع واحد، ثم قال: أنا الذى أهنت الدنيا.

وقال يحيى بن معين: عن علي بن الجعد، عن الحسن بن صالح قال: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال قائلون: فلان.. وقال قائلون: فلان.. فقال عمر بن عبد العزيز: **أزهد الناس في الدنيا علي بن أبى طالب**.

ومن بديع أقواله:

❖ تعلموا العلم تُعرفوا به، واعملوا تكونوا من أهله؛ فإنه يأتى من بعدكم زمان يُنكر فيه من الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب..

ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ،إن الآخرة قد أتت مقبلة، ولكل واحدة بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا.. ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء

This file was downloaded from QuranicThought.com

طيبا.. ألا مَن اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات.. ومَن أشفق من النار رجع عن المحرمات.. ومَن طلب الجنة سارع إلى الطاعات.. ومَن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب..

❖ إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق..

ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل.. فمَن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله.. الرغبة كما تعملون له في الرهبة.. ألا أيها الناس إنما الدنيا عَرَض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد الصادق، يحكم فيها ملِك قادر.. ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم.. أيها الناس أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم؛ فإن الله وعد جنته من أطاعه وأوعد ناره من عصاه.. إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يُفك أسيرها، ولا يُجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد..

وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل؛ فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن طول الأمل يُنسي الآخرة.[1]

ιοπ

عمر بن عبد العزيز:

عن سلمة بن دينار عالم المدينة وقاضيها وشيخها، قال: قدمت على خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز وهو بـ"حُناصرة" من أعمال "حلب"، وكانت قد تقدمت بي السن، وبعد بيني وبين لقائه العهد، فوجدته في صدر البيت؛ غير أني لم

[1] صفة الصفوة – البداية والنهاية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أعرفه لتغير حاله عما عهدته عليه يوم كان واليا على المدينة؛ فرحب بي وقال: ادنُ مني يا أبا حازم!

فلما دنوتُ منه قلت: ألست أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز؟ فقال: بلى.. فقلت: ما الذي حل بك؟! ألم يكن وجهك بهيا.. وإهابك طريا.. وعيشك رخيا..؟! فقال: بلى.. فقلت: فما الذي غير بك بعد أن غدوت تملك الأصفر والأبيض، وأصبحت أميرا للمؤمنين؟! فقال: وما الذي تغير بي يا أبا حازم؟! فقلت: جسمك الذي نحل.. وجلدك الذي اخشوشن.. ووجهك الذي اصفر.. وعيناك اللتان خبا ومضهما..

فبكى وقال: فكيف لو رأيتَني في قبري بعد ثلاث؛ وقد سالت حدقتاي على وجنتيّ.. وتفسَّخ بطني وتشقَّق.. وانطلق الدود يرتع في بدني.. إنك لو رأيتني آنذاك يا أبا حازم؛ لكنتَ أشد إنكارا لي من يومك هذا..

وعن مغيرة قال: جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين استُخلف، فقال: إن رسول الله خ كانت له "فدك"[1] ينفق منها، ويعود منها على صغير بني هاشم، ويزوج منها أيمهم، وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى.. فكانت كذلك حياة أبي بكر وعمر؛ عملا فيها عمله، ثم أقطعها مروان، ثم صارت لي.. فرأيت أمرا منعه رسول الله خ بنته ليس لي بحق، وإني أشهدكم أني قد رددتُها على ما كانت عليه في عهد رسول الله خ.

---

[1] هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحا؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل خيبر وفتح حصونها، ولم يبق إلا ثلاث، واشتد بهم الحصار، راسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل، وبلغ ذلك أهل فدك؛ فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعن الأوزاعي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة، لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عدَّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما ينفعه، والسلام.

وعن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت على عمر وقميصه وسخ، فقلت لامرأته -وهي أخت مسلمة-: اغسلوه. قالت: نفعل.. ثم عدت فإذا القميص على حاله، فقلت لها، فقالت: والله ماله قميص غيره.

وعن عمرو بن مهاجر: كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين.

وعن عون بن المعتمر أن عمر بن عبد العزيز قال لامرأته: عندك درهم أشتري به عنبا؟ قالت: لا.. قال: فعندك فلوس؟ قالت: لا.. أنت أمير المؤمنين ولا تقدر على درهم؟! قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم.

وعن عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن أزهر صاحب له: قال: رأيت عمر بن عبد العزيز يخطب بـ"خُناصرة"، وقميصه مرقوع.

وعن مكحول: لو حلفتُ لصدقتُ؛ ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز.

وعن ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: حدِّثني.. فحدثتُه؛ فبكى بكاء شديدا.. فقلت: لو علمت لحدثتُك ألين منه.. فقال: إنا نأكل العدس، وهي ما علمت مُرقة للقلب، مُغزرة للدمعة، مذلة للجسد.

وقيل: كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: إنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغَّض إليك كل فانٍ، وحبَّب إليك كل باقٍ، والسلام.

وعن عمرو بن مهاجر قال: اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحا، فأهدى له رجل من أهل بيته تفاحا.. فقال: ما أطيب ريحه وأحسنه! وقال: ارفعه يا غلام للذي أتى به، وأقرئ مولاك السلام، وقل له: إن هديتك وقعت عندنا بحيث تحب.. فقلت:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يا أمير المؤمنين! ابن عمك، ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن رسول الله خ كان يأكل الهدية.. قال: ويحك..! إن الهدية كانت له هدية، وهي اليوم لنا رشوة.

عن حمد بن مروان العقيلي، عن يزيد أنه وفد مع الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، قال: فأتاني رسوله: أن أجب؛ فركبت ومضيت، فإذا به قد وضع التاج، ونزل عن السرير، فقال: أتدرى لم بعثت إليك؟ قلت: لا.. قال: إن صاحب مسلحتي كتب إليّ أن الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز مات.. قال: فبكيت، واشتد بكائي، وارتفع صوتي.. فقال لي: ما يبكيك؟ ألنفسك تبكي؟ أم له؟ أم لأهل دينك؟! قلت: لكلٍّ أبكي..

قال: فابكِ لنفسك، ولأهل دينك، أما عمر.. فلا تبكِ له؛ فإن الله لم يكن ليجمع عليه خوف الدنيا وخوف الآخرة! ثم قال: ما عجبت لهذا الراهب الذي تعبد في صومعته وترك الدنيا، ولكن عجبت لمن أتته الدنيا منقادة حتى صارت في يده، ثم خلَّى عنها.[1]

ιοπ

نور الدين محمود:

قال الموفق عبد اللطيف: كان نور الدين لم يَنشف له لِبْدٌ مِن الجهاد، وكان يأكل مِن عمل يده؛ يَنسخ تارة، ويعمل أغلافًا تارة، ويلبس الصوف، ويلازم السجادة والمصحف.

قال عنه ابن الأثير: طالعتُ السِّيَر فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، ولا أكثر تحريًا منه

[1] صور من حياة التابعين – سير أعلام النبلاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للعدل، كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف إلا مِن مِلك له قد اشتراه مِن سهمه مِن الغنيمة.

وقال ابن الأثير: حكى لنا الأمير بهاء الدين علي بن الشكري، وكان خصيصا بخدمة نور الدين، قد صحبه من الصبا وأنس به، وله معه انبساط، قال: كنت معه في الميدان بالرُّها والشمس في ظهورنا، فكلما سرنا تقدمنا الظل، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا، فأجرى فرسه وهو يلتفت وراءه، وقال لي: أتدري لأي شيء أجري فرسي وألتفت ورائي؟ قلت: لا.. قال: **قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا، تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها**.. قلت: رضي الله عن مَلك يفكر في مثل هذا.

وكان / يشبه عمر بن عبد العزيز في زهده.. فكان يحضر الفقهاء ويستفتيهم فيما يحل له من تناول الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، فيأخذ ما يفتونه بحله ولم يتعداه إلى غيره البتة.

قال العماد الأصفهاني: كان رسم نفقته الخاص في كل سنة من جزية أهل الذمة مبلغ ألفي قرطاس، يصرفه في كسوته ونفقته ومأكوله ومشروبه وحوائجه المهمة، حتى أجرة خياطه وطباخه، ومن ذلك المقرر المعين النزر ثم يستفضل ما يتصدق به في آخر الشهر ويفضه على المساكين وأهل الفقر.

وأما ما يُهدى إليه من الثياب والألطاف وهدايا الملوك من المناديل والسكاكين وكل دقيق وجليل.. لا يتصرف في شيء منه بل يُعرض نظره عنه، وإذا اجتمع يخرجه إلى مجلس القاضي ليحصِّل أثمانها الموفورة، ويصرفها في عمارة المساجد المهجورة.

وحُكي عنه أنه حُمل إليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة، فلم يُحضرها عنده، فوُصفت له فلم يلتفت إليها.. وبينما هم معه في حديثها؛ إذ قد جاءه رجل صوفي؛ فأمر له بها.. فقيل له: إنها لا تصلح لهذا الرجل، ولو أُعطي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

غيرها لكان أنفع له.. فقال: **أعطوها له فإني أرجو أن أعوَّض عنها في الآخرة.** فسُلمت إليه، فسار بها إلى بغداد؛ فباعها بستمائة دينار أو سبعمائة.. وكانت تساوي أكثر.

قال رضيع الخاتون -زوجة نور الدين-: إنها قلت عليها النفقة، ولم يكفها ما كان قد قرره لها، فأرسلتني إليه أطلب منه زيادة في وظيفتها (أي مخصصاتها المالية).. فلما قلت له ذلك؛ تنكر واحمَّر وجهه، ثم قال: من أين أعطيها؟ أما يكفيها مالها؟ والله لا أخوض نار جهنم في هواها، إن كان تظن أن الذي بيدي من الأموال هي لي فبئس الظن؛ إنما هي أموال المسلمين ومُرصَدة لمصالحهم، ومُعدَّة لفتق -إن كان- من عدو الإسلام، وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها.. ثم قال: لي بمدينة حِمص ثلاثة دكاكين ملكا؛ قد وهبتها إياها فلتأخذها.. وكان يحصل منها قدر قليل نحو عشرين دينارا.

وقال ابن كثير: كان نور الدين عفيف البطن والفرج، مقتصدا في الإنفاق على أهله وعياله في المطعم والملبس، حتى قيل: إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلى نفقة منه، من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا..

وكان عمر الملاّء رجلاً من الصالحين الزاهدين، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفطر عليه، وكان يرسل له بفتيت ورقاق فيفطر عليه. وكان إذا أقام الولائم العظيمة لا يمد يده إليها، إنما يأكل من طبق خاص فيه طعام بسيط.

وأما مقر سكن حاكم الجزيرة والشام ومصر واليمن؛ فكانت دار متواضعة تطل على النهر الداخل إلى القلعة من الشمال، ألحق بها صُفَّة يخلو فيها للعبادة، فلما ضربت الزلازل دمشق، بنى بإزاء تلك الصفة بيتا من الأخشاب؛ فهو يبيت فيه ويصبح ويخلو بعبادته ولايبرح . ولما تُوفي دُفن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في البيت البسيط المقام من الأخشاب.[1]

ιοπ

صلاح الدين الأيوبي:

أخذ الدنيا بسيف الظفر، ثم جاد بها بيد الكرم.. سقطت على أقدامه الدول، ووقفت على أعتابه الملوك، ودانت له الرقاب، وانقادت إليه الخزائن.. ولما مات أُخرجت جنازته –كما يُقسم القاضي ابن شداد– بالدَّين!

كان / عزوفا عن الدنيا ومباهجها وزينتها وطيباتها.. بنى له أتباعه مرة منزلا أنيقا في دمشق فلم يكترث به، ولم ينظر إليه طويلا، بل قال:

ما كنا لنجلس في هذا المكان إلى الأبد، فهذا المنزل لا يصلح لمن يطلب الموت، وما نحن هنا إلا لنقوم بخدمة الله سبحانه.

لم تفتنه أموال ملكه الواسع، ولم تغره أبهة الملك وعظمة السلطان، ومن أقواله: **إن المال والتراب سيان عندي..**

ومما يدل على زهده في الدنيا وعزوفه عن مباهج الحياة أنه حين توفي لم يجد الناس لديه مالا، ولم يخلف ضيعة ولا قصرا.. فقد استغرقت الصدقة جميع ما ملكه من الأموال؛ فإنه ملك ما ملك، ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية، وجراما واحدا ذهبا، ولم يخلف ملكا ولا دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة، ولا شيئا من أنواع الأملاك..

فهل رأيتم في تاريخ السلاطين والزعماء عظيما زاهدا كمثل هذا السلطان العظيم؟! إنه القائد الفذ الذي باع دنياه بآخرته، واستعاض عن العاجلة بالآجلة، وما عند الله خير مما يجمعون.[1]

ιοπ

---

[1] عصر الدولة الزنكية: د. علي الصلابي

[1] رجال من التاريخ – صلاح الدين الأيوبي بطل حطين

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيا عباد الله..

هذه نتف يسيرة من سيرة أئمة العدل في الزهد وقصر الأمل..

فلله ما أصفى خصالهم.. وما أزكى أعمالهم..

فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية، ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين راضية، واشتروا الباقية بالفانية؛ فنعم ما اتجروا.. ربحوا الدارين، وجمعوا الخيرين، واستكملوا الفضلين..

أصلحوا الدنيا بالدين، فعاش المجتمع كله هانئا في ظل عدلهم، وانقاد المجتمع المسلم لسلطانهم متفقا مع ما في نفوسهم الزكية.. فكان [المجتمع جادًّا، مشغولا بمعالي الأمور لابسفسافها.. وكانت اهتمامات الناس أعلى وأبعد من واقع الحس القريب.. مجتمع جاد ليس فيه سمات المجتمع الفارغة المترهلة، التي تتسكع في البيوت وفي الطرقات، تبحث عن وسيلة لقتل الوقت من شدة الفراغ.

مجتمع مجند للعمل، في كل اتجاه تلمس فيه روح الجندية واضحة؛ لا في القتال في سبيل الله فحسب –وإن كان القتال في سبيل الله قد شغل حيزا كبيرا من حياة المجتمع– ولكن في جميع الاتجاهات، فالكل متأهب للعمل في اللحظة التي يُطلب منه فيها العمل، ومن ثم لم يكن في حاجة إلى تعبئة عسكرية ولامدنية، فهو معبأ من تلقاء نفسه بدافع العقيدة وبتأثير شحنتها الدافعة لبذل النشاط في كل اتجاه.][2]

تُرى هل يَرجعُ الماضي؛ فإني
أذوبُ لذلكَ الماضي حنينا

[2] أبو بكر الصديق شخصيته وعصره: د. علي الصلابي

This file was downloaded from QuranicThought.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	3
سادسا: توحيد الكلمة وتجنب التنازع والشقاق	6
ولا تفرقوا	7
ولا تنازعوا	14
وألف بين قلوبهم	20
فأصلحوا بين أخويكم	28

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد تفرغتم لهذا؟! 39
وكونوا عباد الله إخوانا 47
فلول الغرب أضحت أمة! 55
تحقيق الوحدة بجهود صلاح الدين مقدمة للنصر المبين 65
سابعا: تحقيق الزهد وقصر الأمل والتخفف من الدنيا 70
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور 71
وإن الدار الآخرة لهي الحيوان 80
ورزق ربك خير وأبقى 83
صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين 87
فحق عليها القول 94
أخطر داء يودي بحياة الأمم 104
عندما يغلب بريق المادة إشعاعات الإيمان 108
متى كانت الدنيا في يدك وليست في قلبك لم تضرك 122
حب الدنيا وكراهية الموت 131
قبسات من سيرة أئمة العدل في الزهد وقصر الأمل 139
سيد الزهاد صلى الله عليه وسلم 139
أبو بكر الصديق رضي الله عنه 144
عمر الفاروق رضي الله عنه 145
148
150
155

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ذو النورين رضي الله عنه 158
علي بن أبي طالب رضي الله عنه 160
عمر بن عبد العزيز .....
نور الدين محمود .....
صلاح الدين الأيوبي .....

B

This file was downloaded from QuranicThought.com